الدكتور أبو بكر العزاوي

الخطاب والحِجاج



مؤسسة الرحاب الحديثة
للطباعة والنشر

الخطاب والحِجاج

الكتاب: الخطاب والحجاج
الموضوع: فكر وأدب
المؤلف: د. أبو بكر العزاوي
الناشر: مؤسسة الرحاب الحديثة

هاتف: 00961 3 359788
تلفاكس: 00961 3 241032
ص.ب: 11/3847 بيروت - لبنان
بريد الكتروني: Alrihabpub@terra.net.lb

الطبعة الأولى:2010

الدكتور أبو بكر العزاوي

الخطاب والحِجاج



مؤسسة الرحاب الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى روح والـدي الفقيـه والمربـي تغمـده الله برحمتـه الواسعة؛

إلى والـدتي التقيـة الزكيـة أطـال الله عمرهـا ومتّـعها بالصحة والعافية؛

إلى كل الأصدقاء والطلاب الذين انتظروا هذا الكتاب بفارغ الصبر وكامل الرجاء؛

إلى طالبي العلم ومحبي المعرفة؛

إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذا العمل المتواضع راجياً أن يجدوا فيه بعض النفع والإفادة.

المؤلف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾

سورة البقرة، الآية 258

مقدمة خاصة

يسعدني ويبهجني أن أقدم إلى القارئ الكريم الطبعة الثانية من كتاب "الخطاب والحِجاج" الصادر سنة 2007 عن دار النشر "الأحمدية للنشر" بالدار البيضاء. لقد نفذت نسخ الطبعة الأولى من هذا الكتاب في أقل من سنة، وهذا يدل على الإقبال الكبير الذي لقيه من قبل الدارسين والباحثين والطلاب في مختلف المجالات المعرفية والثقافية، ويدل أيضاً على أهمية الحِجاج بصفة عامة واللغوي منه بصفة خاصة.

والحِجاج Lárgumentation لغةً من حاج يحاج وهوتقديم الحجج والأدلة التي تؤيد الدعوى، قال إبن منظور "حاججته أحاجه حجاجاً ومحاجة حتى حججته، أي غلبته بالحجج التي أدليت بها (...) وحاجه محاجَّة وحجاجاً نازعه الحجة" ويكون الحِجاج مرادفاً أحياناً للجدل، فقد ورد في لسان العرب: "هو رجلٌ محجاج أي جدل" ويُعرِّف إبن منظور الجدل بكونه: "مقابلة الحجة بالحجة" ويكون مرادفاً أيضاً للنزاع والخصام كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾ ولكن التعريف السائد والمعتمد للحجاج، يتمثل في تقديم مجموعة من الحجج والأدلة التي تخدم النتيجة المقصودة والغاية المتوخاة. إن الحِجاج اللغوي هو منطق اللغة وهوالمنطق الطبيعي الذي نجده في كل اللغات البشرية، ونجده في كل النصوص والخطابات التي تنجز باللغة الطبيعية بمختلف أنواعها وأنماطها.

وهذا الكتاب يعتبر حلقة متممة لكتاب (اللغة والحِجاج) الذي أصدرناه

في السنة الماضية. فالكتاب الأول يدرس الحِجاج في مستوى اللغة، أي انطلاقاً من الظواهرا اللغوية (روابط لغوية، استعارة، أفعال لغوية...)، وهو يصف بعض الجوانب الحِجاجية في اللغة العربية. أما الكتاب الثاني (وأقصد "الخطاب والحِجاج") فهو يدرس الحِجاج في مستوى الخطاب ويتممه، وهما يشكلان مشروعاً واحداً. وستتلوهما حلقات أخرى - ضمن المشروع الحِجاجي العام - تعالج منطق اللغة أو تعالج علاقة الحِجاج بالحوار والاختلاف أو تعريف بمختلف النظريات الحِجاجية.

وآمل في الختام أن يطلع باحثون ودارسون جدد على هذه الطبعة الجديدة وأن ينتفع بها قراء آخرون وخاصة في المشرق العربي والذين لم يتمكنوا من الاطلاع على الطبعة الأولى التي صدرت بالمغرب.

والشكر كل الشكر للأستاذ أحمد فواز صاحب مؤسسة الرحاب الحديثة للنشر والطباعة والتوزيع في بيروت على عنايته وعلى نشره للكتاب في حلة بهية والله الموفق والهادي إلى الصواب.

د. أبو بكر العزاوي

الدار البيضاء، 20 صفر 1429

الموافق في 28 شباط 2008

تقديم

إذا كان الكتاب الذي أصدرناه في السنة الماضية تحت عنوان: (اللغة والحِجاج) قد خصص لدراسة العلاقة القائمة بين اللغة والحِجاج وللتعريف ببعض جوانب الحِجاج اللغوي ووصف بعض الجوانب الحِجاجية للغة العربية. وكانت فصوله الأربعة مخصصة لدراسة الموضوعات التالية: نظرية الحِجاج اللغوي والدلاليات الحِجاجية، الروابط الحِجاجية في اللغة العربية (بل، لكن، حتى)، الاستعارة والحِجاج، سلطة الخطاب وقوة الكلمات.

فإن هذا الكتاب الذي يحمل عنوان (الخطاب والحِجاج) يُعد امتداداً وتطويراً للكتاب السابق، وحلقة جديدة من سلسلة المؤلفات التي سنصدرها تباعاً عن موضوع الحِجاج بشكل عام والحِجاج اللغوي بشكل خاص.

لقد أشرنا في مؤلفنا السابق وفي بحوث أخرى إلى أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية **Intrinsèque** وظيفة حجاجية، أي أن هذه الوظيفة مؤشر لها في بنية اللغة، وفي بنية الجمل والأقوال نفسها، فنحن نجدها في الظواهر الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية والتداولية.

ونريد من خلال فصول هذا الكتاب ومباحثه أن نؤكد الحقيقة التالية، وهي أن الحِجاج نجده أيضاً في كل أنماط الخطاب وأنواع النصوص: نجده في الخطبة الدينية والقصائد الشعرية والمحاورة اليومية والمفاوضات التجارية واللافتة الإشهارية والخطاب السياسي ومرافعة المحامي والرواية والمسرحية الأدبية والمناظرات ومناقشة الأطروحات الجامعية والكتابات العلمية وغيرها.

وبعبارة أخرى، فإن هذا الكتاب يهدف إلى دراسة الحِجاج في مستوى الخطاب. وهو ينطلق من مسلمة مفادها أن كل النصوص والخطابات التي تنجز بواسطة اللغة الطبيعية حجاجية، لكن مظاهر الحجاج وطبيعته ودرجته تختلف من نص لنص، ومن خطاب لخطاب. وقد درسنا في الفصول الأربعة المكونة لهذا الكتاب، على التوالي، الخطاب القرآني من خلال تحليل سورة "الأعلى"، والخطاب الشعري ممثلاً بقصيدة "العلة" للشاعر العراقي أحمد مطر، والخطاب المثلي من خلال مجموعة مهمة من الأمثال العامية المغربية، والخطاب الإشهاري، وبالضبط عينة من الصور الإشهارية.

وقدمنا في هذه الفصول، كثيراً من الاجتهادات المفيدة، وكثيراً من المقترحات والآراء الشخصية الجديدة، التي تتعلق بالانسجام الحِجاجي (Coherence Argumentative) وحجاجية الخطاب الشعري والحِجاجية الأيقونية (Argumentation Iconique) وبيّنا أن الكثير من النصوص تشتمل على برنامج حجاجي كامل، وأن الأمثال الفصيحة والعامية، في مجملها، مبادئ حجاجية (Topoi) بالأساس، وأن الخطابات البصرية والصور الإشهارية، التي لا تتضمن أي مكوّن لغوي، حجاجية، وهي تشتمل على ما دعوناه بالحِجاج الأيقوني. فحيث يكون التواصل يكون الحِجاج، والعكس صحيح. ونحن هنا نؤكد المبدأ العام الذي أوردناه في بحوثنا السابقة: "لا تواصل من غير حجاج ولا حجاج من غير تواصل"، فيكون الحِجاج مرتبطاً بكافة أشكال التواصل، اللغوي وغير اللغوي.

إن دراسة الحِجاج، وكما أشرنا إلى ذلك في دراسات وأعمال سابقة،

تنتمي إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة ومنطق الخطاب (Logique du discours)، أي تسعى إلى اكتشاف القواعد الداخلية للخطاب، والمتحكمة في تسلسل الأقوال والجمل وتتابعها بشكل متنامٍ وتدريجي. فالحِجاج، حسب هذا التصور، يتمثّل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب.

ولقد عملنا على إبراز حجاجية الخطابات والنصوص التي درسناها في هذا الكتاب، من خلال مجموعة من المفاهيم والمصطلحات من قبيل: الروابط الحِجاجية، البرنامج الحِجاجي، العلائق الدلالية المنطقية، السلميات الحِجاجية، البرنامج الحِجاجي، الحِجاجية الأيقونية، المبادئ الحِجاجية، الاستراتيجيات الخطابية، الانسجام التداولي والحِجاجي، منطق النص والخطاب، وغيرها من المفاهيم.

ولا يسعنا في نهاية هذه المقدمة، إلا أن نشير إلى أننا حاولنا طرح بعض الأسئلة الجديدة، وتقديم بعض الأجوبة المفيدة، وارتياد فضاءات جديدة ومغايرة. ونتمنى أن يكون في عملنا هذا بعض الأصالة والجدة والطرافة، وأن يكون فيه بعض النفع والإفادة.

والله من وراء القصد، وهو المستعان، وهو الهادي إلى أقوم سبيل.

الفصل الأول

الخطاب القرآني

مقدمة:

قبل الشروع في التحليل الحِجاجي لسورة "الأعلى" التي اخترناها نموذجاً لنبرز من خلالها بعض الجوانب الحِجاجية للخطاب القرآني، نود إبداء الملاحظات التالية:

1- لا بد من وضع هذا البحث في إطار المشروع الذي نسعى إلى إنجازه، والذي يتمثل في السعي إلى تطوير النظرية الحِجاجية، وتوسيع مجال تطبيقها ليشمل مختلف النصوص الدينية والأدبية والسياسية والتاريخية والصحفية والإشهارية.

2- إن التطبيقات التي عرفتها نظرية "الحِجاج في اللغة" في مجال تحليل النصوص والخطابات نادرة ومحدودة، ولهذا فإننا نختار دائماً نصوصاً بسيطة لتجريب النظرية عليها، ولإبراز أهمية التحليل الحِجاجي ومعرفة حدوده وإمكاناته، وتعدد المقاربات والتطبيقات هو الذي سيمكننا، بالطبع، من معرفة دقيقة وشاملة بهذه النظرية، وسيمكننا بالتالي من تطويرها وإغنائها حتى تكون أكثر قدرة واستجابة لتحليل أنماط عديدة من النصوص والخطابات.

3- التحليل الذي نروم إنجازه هنا[1] يقتصر على إبراز الجوانب الحِجاجية الاستدلالية للنص المراد تحليله، ليس غير. ونحن نعلم علم اليقين، أن النص - أياً كان نوعه وطبيعته - تساهم في تكوينه وبنائه مجموعة من المكونات والمقومات العديدة والمختلفة، ونعلم أن الجوانب الحِجاجية تنسجم وتتفاعل وتتكامل مع الجوانب الإخبارية والفنية والإيديولوجية وغيرها، لكن غاية هذا البحث تنحصر في الهدف الذي ذكرناه آنفاً.

4- إن المظاهر الحِجاجية للخطاب، أياً كان نوعها، لا تتمثل في الروابط والعوامل الحِجاجية فقط، ولكنها تتمثل أيضاً في أشياء أخرى ، فهي تتمثل في كثير من الظواهر الصرفية والتركيبية والمعجمية والدلالية، ولكننا اخترنا – في بحثنا هذا – الوقوف عند جانب أساسي من الجوانب الحِجاجية في اللغات الطبيعية.

الخطاب والحِجاج

إن النص أو الخطاب يشتمل على ثلاثة أنماط من العلاقات وهي:

- العلاقات الفضائية.

- العلاقات الزمانية.

- العلاقات المنطقية.

وما يهمنا نحن هنا هو هذا النمط الأخير من العلاقات، وهو ما يؤكد أن للنص منطقه الخاص وبنيته الاستدلالية، ويؤكد هذا أيضاً ما نستعمله، في خطاباتنا وحواراتنا، من عبارات من قبيل: "حسن الاستدلال والبرهان"، "متين الحجة"، "ناصع البرهان"، "هذا أمر ظاهر البطلان، لا يعقل صحته، ولا يقوم عليه دليل"، "هذه أدلة متعارضة وحجج متناقضة"، "هذا قول مردود ضعيف السند، واهي الدليل"، "فلان حاضر الدليل وصحيح الاستدلال"، وغيرها من الأقوال والتعابير التي يشار بها إلى البعد المنطقي الاستدلالي في الخطاب، وبالنسبة إلينا نحن، فما قلناه سابقاً عن اللغات البشرية وطبيعتها الحِجاجية، نقوله كذلك من الخطاب، فهذا الأخير عبارة عن متوالية من الأقوال والجمل، أو – بتعبير حجاجي – مجموعة من الحجج والنتائج التي تقوم بينها أنماط مختلفة من العلائق،

فالحجة تستدعي الحجة المؤيدة أو المضادة، والدليل يفضي إلى النتيجة، والنتيجة تفضي إلى دليل آخر، وكل قول يرتبط بالقول الذي يسبقه ويوجه القول الذي يتلوه، وبعبارة أخرى، فإن الأقوال والجمل تقوم بينها علاقات منطقية ودلالية مثل علاقات الشرط والسببية والاستلزام والاستنتاج والتعارض (وبتعبيرنا نحن علائق حجاجية استدلالية)، ومجموع هذه العلائق هو ما يكوّن البنية المنطقية للنص أو الخطاب المقصود، وهو ما نسميه عامة بمنطق الخطاب أو المنطق الطبيعي إلى غير ذلك من التعابير التي يشار بها إلى كل أنواع المنطق التي لا تندرج في المنطق الصوري والرياضي. إلى جانب المظاهرالحِجاجية المشار إليها حتى الآن والتي تهم البنية الداخلية للخطاب، يمكن الحديث عن وظيفة حجاجية عامة للخطاب برمته، من خلال ربطه بالمتكلم والمخاطب وملابسات وظروف السياق التخاطبي والاجتماعي العام. والخطاب، أياً كان نوعه، تكون له وظائف محايدة ومتنوعة: وظيفة إخبارية وإعلامية، ووظيفة جمالية، ووظيفة تفاعلية، ووظيفة حجاجية إقناعية، ووظيفة إيديولوجية... وغيرها من الوظائف... وتختلف الخطابات والنصوص تبعاً للمعايير التالية:

- **وظائف الخطاب المراد دراسته (تحديدها وعددها).**
- **العلائق القائمة بين هذه الوظائف.**
- **الدور المسند إلى الوظيفة (دور أساسي أم ثانوي).**

ونريد أن نشير إلى أن الوظيفة الحِجاجية هي التي تهمنا في هذا البحث الذي يروم بيان أهمية دراسة الجوانب الحِجاجية في تحليل مختلف أنماط النصوص والخطابات. وفي كثير من النصوص، وخاصة النصوص الإشهارية

والدينية والسياسية والمركزية، تكون الوظيفة الحِجاجية هي الوظيفة الأساسية والمركزية، أي الوظيفة التي تحكم الوظائف الأخرى وتوجهها، وقد لا يسند إلى هذه الوظيفة الدور المركزي في كثير من النصوص الأدبية والفنية، ومع ذلك فإنها تكون حاضرة وموجودة، بل إن بعض النصوص الأدبية يبرز فيها الحِجاج بشكل بارز[2]. أما النصوص التي لا يمكن الحديث بشأنها عن الحِجاج، فهي قليلة ونادرة جداً، وغالباً ما تكون من قبيل التمارين التي يُقصد من ورائها إلى إبراز المهارات اللغوية والفنية المكتسبة.

التحليل الحِجاجي للسورة:

تبدأ سورة "الأعلى" بالآية ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ ويبدو لنا أن هذه الآية هي النتيجة التي يهدف الله عزوجل بصفته المتكلم إلى إقناع المخاطب ودفعه إلى العمل بها، ويقضي الاستدلال أو المنطق أياً كان هذا المنطق (صورياً أو طبيعياً) أن يرفق ذكر النتيجة بذكر الأدلة والحجج التي تخدمها وتؤدي إليها، ولذلك أورد الله تعالى مجموعة من الحجج مباشرة بعد الآية الأولى، وهي الآيات الموالية:

- ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾.
- ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾.
- ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴾.

وهناك حجج أخرى مبثوتة في السورة يمكن استخراجها، وكلها تخدم

النتيجة السابقة، ثم إنها تندرج في البرنامج الحِجاجي العام.

ومن خلال المقطع الأول من السورة، نكتشف علاقة حجاجية قائمة بين نتيجة وثلاثة حجج، وهذه الحجج كلها تخدم هذه النتيجة وتؤدّي إليها، أي أنها تسير في اتجاه حجاجي واحد، فالسياق هنا هو سياق الوجهة الحِجاجية الواحدة وليس سياق التعارض الحِجاجي. ولمزيد من التوضيح، فإنه يمكن أن نصوغ هذه العلاقة الحِجاجية صياغات مختلفة بحيث يظهر في كل صياغة رابط مغاير للرابط الذي نجده في الصياغة الأخرى، وبحيث يكون للعلاقة الحِجاجية طابع خاص ومتميز في كل صياغة من الصياغات الممكنة، ويمكن أن نورد من هذه الصياغات ما يلي:

1. **سبح اسم ربك الأعلى لأنه هو الذي خلق فسوى وقدر فهدى...**
2. **بما أن ربك هو الذي خلق فسوى وقدر فهدى... فسبحه.**
3. **إن ربك خلقَ فسوى وقدر فهدى، فسبحه.**
4. **إن ربك خلقَ فسوى وقدر فهدى، إذن سبحه.**
5. **إذا كان ربك هو الذي خلقَ فسوى وقدر فهدى فسبحه.**
6. **سبح اسم ربك إذ هو الذي خلقَ فسوى وقدر فهدى.**

ويمكن افتراض وتخيل صياغات ممكنة أخرى لهذه العلاقة الحِجاجية، وغرضنا من إيراد هذه الصياغات المختلفة، أو غرضنا من هذا التنويع هو إظهار العلاقة الحِجاجية التي تربط بين الآية الأولى باعتبارها نتيجة، والآيات التالية لها باعتبارها حججاً وأدلة لصالح هذه النتيجة.

ونشير كذلك إلى أن التنوع في الصياغات السابقة مرده إلى أن العلاقة الحِجاجية قد تكون علاقة تعليلية تفسيرية كما في الصياغة الأولى، أو تكون علاقة استنتاج كما في الصياغتين 3 و 4 أو علاقة شرط كما في الصياغة 5 أو علاقة تبرير واستدلال كما في الصياغتين 2 و 6 ويمكن أن تكون سببية أو استلزامية أو أن تتخذ أشكالاً غير هذه الأشكال في سياقات أخرى، فمفهوم العلاقة الحِجاجية مفهوم واسع وشامل بحيث يشمل كل هذه الأنماط وغيرها من العلائق القائمة بين الحجة والنتيجة. ثم إن العلاقة الحِجاجية يمكن أن تربط بين حجة واحدة ونتيجة أو بين نتيجة واحدة ومجموعة من الحجج، ويمكن أن تربط بين عناصر صريحة وأخرى مضمرة، بخلاف العلاقة المنطقية التي لا تربط إلا بين قضايا صريحة ومتماثلة. وإذا عدنا إلى العلاقة الحِجاجية المتضمنة في المقطع الأول من السورة، فإنه يمكننا الحديث أيضاً عن الاستعمالات الحِجاجية لـ"الذي" إلى جانب وظائفه الأخرى التركيبية والدلالية، فنقول في هذا الإطار، الذي هو رابط حجاجي مدرج للحجج، فهو الذي ربط، ودون أن تكون هناك أي أداة من أدوات العطف، بين النتيجة المقصودة والحجج المؤدية إليها.

أما في السياقات المحتملة لهذه العلاقة الحِجاجية، والتي أشرنا إلى بعضها من قبل، فلن تكون للأداة "الذي" هذه الوظيفة الحِجاجية.

بعد هذا المقطع الأول المشتمل على النتيجة العامة للسورة، أي الهدف الحِجاجي المقصود، وعلى الأدلة المؤدية إليها، ننتقل إلى المقطع الثاني الذي يتضمن توضيحاً وتفصيلاً لمجموعة من القضايا المرتبطة بالنتيجة الواردة في الآية الأولى، وإذا كان الإنسان مطلوباً منه أن يسبِّح ربه ويعبده ويمتثل لأوامره، فقد

يطرح السؤال التالي: كيف نسبحه ونعبده؟ والله عزو جل هنا يطمئن نبيه بأنه سيقرئه ويعلمه، وأنه قد تكفل بحفظ قرآنه، ليتمكن النبي ﷺ وأتباعه من القيام بالتسبيح والعبادة خير قيام، وليتمكنوا أيضاً من القيام بواجب التذكير، وهوما نجده في قوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾

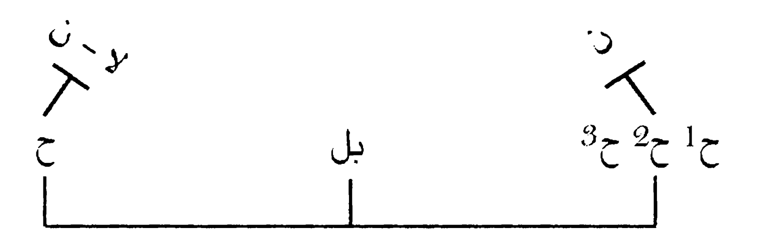
وإذا استثنينا الآية الأولى "سبح اسم ربك الأعلى" التي هي الغاية المقصودة من السورة بكاملها، فكأن المقطع الأول جواب عن السؤال: لِم نسبحه؟ فجاء الجواب (والاستدلال والحِجاج في نفس الوقت): "لأنه خلق فسوى وقدر فهدى..."، وكأن المقطع الثاني من السورة جواب عن سؤال آخر هو: كيف نسبحه؟ فجاء الجواب: سنقرئك ونعلمك ونيسرك لليسرى ...".

نصل بعد هذا إلى المقطع الثالث والأخير من السورة، وهو قوله تعالى: "بل تؤثرون الحياة الدنيا، والآخرة خير وأبقى، إن هذا لفي الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى"، وفي هذا المقطع يتغير المسار الحِجاجي للسورة، فهو يبدأ بالرابط الحِجاجي "بل" الذي هو من روابط التعارض الحِجاجي، وهذا الرابط يدرج حجة مضادة للحجج السابقة التي تخدم النتيجة الواردة في الآية الأولى من السورة.

وانطلاقاً من الأوصاف اللسانية التي قدمها ديكرو وتلامذته للرابط المقابل له في اللغة الفرنسية "Mais" فإن الحجة التي ترد بعد "بل" أو "لكن"، عندما

يستعملان استعمالاً حجاجياً ، تكون أقوى من الحجج التي ترد قبلها، بحيث توجه القول أو الخطاب بمجمله.

وإذا عدنا إلى الرابط الحِجاجي (بل) الوارد في السورة، فسنقول إنه الرابط الذي يقيم العلاقة الحِجاجية المركزية في السورة، هذه العلاقة التي تحكم كل عناصر السورة ومكوناتها، وهذه العلاقة مكوّنة بدورها من علاقتين حجاجيتين فرعيتين: علاقة بين النتيجة "سبح اسم ربك الأعلى" والحجج "خلق فسوى، قدر فهدى، أخرج المرعى.." المؤدية إلى هذه النتيجة، وعلاقة حجاجية ثانية تسير في اتجاه النتيجة المضادة، أي بين الحجة القوية التي تأتي بعد "بل" وهي "تؤثرون الحياة الدنيا" والنتيجة المضادة للنتيجة السابقة "لن تسبح ربك" وهي نتيجة مضمرة غير صريحة، ويمكن أن نرمز للبرنامج الحِجاجي العام للسورة بالرسم التالي:



حيث (ح) يشير إل الحجة التي تخدم نتيجة معينة، و(ن) يشير إلى هذه النتيجة نفسها، و(لا- ن) يشير إلى النتيجة المضادة، أما الرمز (—]) فيرمز للعلاقة الحِجاجية، وهذه تختلف بالطبع عن علاقة الاستلزام المنطقي التي يرمز إليها: بـ(→) ومن الممكن أن نقول إن

المقطع الثالث يبدأ من قوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ ﴾ إلى آخر السورة.

... وسيكون المقطع، في هذه الحالة، متضمناً لعلاقة حجاجية بكامل عناصره وله وحدته الموضوعية واستقلاله النسبي، هذه العلاقة الحِجاجية هي كالتالي: فهناك الحجة الصريحة "قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه..." التي تخدم نتيجة مضمرة من نمط "اذكر اسم ربك"، وهناك من جهة أخرى الحجة الأقوى "تؤثرون الحياة الدنيا" التي تؤدي إلى النتيجة المضادة "لن تذكر اسم ربك"، ثم هناك الرابط الحِجاجي بل الذي يربط بين هذه الحجج والنتائج، وإذا أخذنا بهذا التقطيع للسورة، فسيكون المقطع الأخير ملخصاً للسورة برمتها ومتضمناً لبرنامجها الحِجاجي العام، ولكننا آثرنا التقطيع الأول لأنه يمكّننا من دراسة السورة بكل عناصرها ومكوناتها، ويمكّننا من إبراز وحدتها الموضوعية وانسجامها الاستدلالي والحِجاجي.

ومع كل ما ذكرناه بخصوص الحجج والأدلة التي تخدم النتيجة الواردة في الآية الأولى، سواء منها الحجج التي ورد ذكرها في المقطع الأول من السورة، أو الحجج الأخرى التي نجدها مبثوثة في المقاطع الأخرى نحو قوله تعالى: "والآخرة خير وأبقى" أو "إنّ هذا لفي الصحف الأولى..."، فإن النتيجة العامة للسورة تبقى سلبية، لأن الحجة التي ترد بعد "بل" أقوى من كل الحجج التي وردت قبلها، وهو ما يجعل هذه الحجة موجهة للسورة بأكملها، ويجعل بالتالي هذه النتيجة التي تؤدي إليها، والتي يمكن أن تكون من قبيل "إن حب الإنسان القوي والشديد للدنيا ألهاه وأنساه ذكر الله وعبادته"، النتيجة العامة للسورة.

إن الحجج التي تضمنتها السورة والمتمثلة في أن الله عزّ وجل خلق الإنسان وأوجده وسوّاه، وقدررزقه وأجله، وأرشده وهداه...إلخ، والتي تخدم النتيجة "سبح اسم ربك واعبده" قوية ومتعددة، ومع ذلك فإن المتكلم يقدمها على أنها أقل درجة، من حيث القوة الحِجاجية، من الحجة التي يدرجها الرابط الحِجاجي "بل".

يتضح لنا من كل ما سبق أن سورة الأعلى التى قمنا بدراستها وتحليلها، وإبراز بعض جوانبها الحِجاجية، ذات بنية منطقية واضحة وبرنامج حجاجي محدّد.

ولتأكيد ما قلناه عن الطابع الحِجاجي لهذه السورة، نورد نصاً لفخر الدين الرازي، أورده في تفسيره المشهور (مفاتيح الغيب) وقد استعمل فيه لفظتي الحجة والاستدلال، وهذا النص يندرج في تفسيره لسورة الأعلى يقول فيه(3): (أما قوله تعالى: الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى" فاعلم أنه سبحانه وتعالى لما أمر بالتسبيح فكأن سائلاً قال: الاشتغال بالتسبيح إنما يكون بعد المعرفة، فما الدليل على وجود الرب؟ فقال: "الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى" واعلم أن الاستدلال بالخلق والهداية هي الطريقة المعتمدة عند أكابر الأنبياء عليهم السلام، والدليل عليه ما حكى الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام، أنه قال: "الذي خلقني فهو يهدين" (الشعراء/78) وحكي عن فرعون أنه لما قال لموسى وهارون عليهما السلام: "فمن ربكما يا موسى" (طه/49) قال موسى ﷺ: "ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى" (طه/50) وأما محمد ﷺ فإنه تعالى أول ما أُنزل عليه هو قوله تعالى: "إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق" (العلق/2) هذا إشارة إلى الخلق، ثم قال: "إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم" (العلق/3) وهذا إشارة إلى الهداية، ثم

إنه تعالى أعاد ذكر تلك الحجة في هذه السورة، فقال: "الذي خلق فسوى، الذي قدر فهدى" وإنما وقع الاستدلال بهذه الطريقة كثيراً لما ذكرنا أن العجائب والغرائب في هذه الطريقة أكثر، ومشاهدة الإنسان لها، واطلاعه عليها أتم، فلا جرم كانت أقوى في الدلالة).

نلاحظ أن الرازي قد أشار، في هذا النص، إلى الجانب الاستدلالي في هذه السورة، وأنه وظف فيه مصطلحات "الحجة" و "الدليل" أ و "الاستدلال"، وإذا كنا قد استشهدنا بكلامه هنا، فلتدعيم ما قلناه عن حجاجية هذه السورة وطبيعتها الاستدلالية، وإلا فهناك خلافٌ كبيرٌ بين مفهوم "الحجة" أو "الحِجاج" عند الرازي، وبين مفهوم الحِجاج بالمعنى الذي نستعمله نحن هنا، والذي تتبناه نظرية الحِجاج في اللغة. وبالنسبة لهذه النظرية، فإن الأمر يتعلق بمعالجة لسانية للحجاج، ويُعد هذا الأخير إحدى الوظائف الأساسية للغة الطبيعية، ثم إن الحجج والنتائج هي عناصر دلالية لغوية، ونعتقد أن التصور الذي نجده عند الرازي للحجاج والاستدلال هو التصورالذي نجده في أغلب الدراسات الحِجاجية التقليدية، والذي لا يكون فيه للغة الدور الأساسي، وقد أشرنا من قبل إلى أن أغلب النظريات الحِجاجية كان لها توجه منطقي أو نفسي وبلاغي، وأن تصورها للحجاج يقوم على مفهوم "الواقعة" **(fait)**، وعلى معرفتنا وتمثلنا للعالم الخارجي.

خاتمة:

لقد كان هدف هذا البحث هو إبراز بعض جوانب الحِجاج والاستدلال الطبيعي في الخطاب القرآني من جهة، وبيان أهمية التحليل الحِجاجي للنصوص والخطابات بمختلف أنواعها وأنماطها، ونرى من المفيد الآن، إثبات النتائج التالية:

1. إن هذه الدراسة محاولة أولية لاستجلاء بعض المظاهر الحِجاجيه لهذه السورة القرآنية، وهناك بالطبع مظاهر حجاجية وتداولية أخرى مبثوثة في هذه السورة لم نتعرض لها لأن الأمر يتعلق بمشروع تحليل، ولأنها، من جهة ثانية، لا تمثل الجوانب المحورية والأساسية في هذه السورة.
2. القرآن الكريم خطاب إلهي كتب بلغة طبيعية هي اللغة العربية، وهو موجه إلى كافة البشر فهو إذن خطاب طبيعي، يحكمه المنطق الذي يحكم الخطابات الطبيعية، وبعبارة أخرى فهو خطاب يقوم على الحِجاج والمنطق الطبيعي والاستدلال غيرالبرهاني.
3. مظاهر الحِجاج وطبيعته تختلف من سورة لأخرى، وهذا بالنظر إلى عدد الروابط ونوع العلائق المنطقية التي تشتمل عليها السورة. ثم إن بعض السور لها طابع حجاجي قوي، وهذا في تناسب وانسجام تام مع المضمون العام للسورة، فالسور المكية - ومنها سورة "الأعلى" التي قمنا بتحليلها يغلب عليها - بالقياس إلى السور المدنية - الوعظ والتوجيه والجدال والحِجاج.

4. إظهار الجوانب الحِجاجية يبرز لنا مظهراً أساسياً من مظاهر الانسجام في السورة، أو النص بوجه عام.

5. هناك مشاكل عديدة تعترض التحليل الحِجاجي للنص منها: كثرة الروابط والعوامل الحِجاجية في بعض النصوص وغيابها في نصوص أخرى، تحديد تعالق هذه الأدوات، طبيعة النص المراد تحليله، تفاعل الجوانب الحِجاجية مع العناصر الفنية والجمالية وخاصة في النصوص الأدبية، ثم إن المفاهيم الموجودة حالياً والتي نعتمدها في بحوثنا وتطبيقاتنا انبثقت من دراسة الجمل والأقوال، وتطبيقها على الخطاب أو النص يقتضي تطويرها وإضافة مفاهيم أخرى مثل الاستراتيجية الخطابية وتعالق الروابط والبرنامج الحِجاجي.

ملحق الفصل الأول

سورة "الأعلى"

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾

الهوامش:

1. وكذلك التحاليل التي نجدها في الفصول اللاحقة.
2. يصدق هذا مثلاً على أشعار وقصائد الشاعر العراقي أحمد مطر. أنظر تحليلنا لقصيدته (العلة) في الفصل المخصص للخطاب الشعري.
3. لم نطلع على ما كتبه فخر الدين الرازي في تفسيره عن سورة "الأعلى" وعن الاستدلال بالخلق والهداية إلا بعد أن كنا قد أنجزنا هذا التحليل بمدة غير قصيرة.

الفصل الثاني

الخطاب الشعري

تمهيد:

تهدف هذه الدراسة إل القيام بتحليل حجاجي لنص شعري معاصر[1]، وقبل ذلك أود أن أذكر الملاحظات الآتية:

1. إن طبيعة النص الشعري هي التي فرضت علينا القيام بهذا النوع من التحليل، ومع ذلك فنحن لا نستبعد أن يكون التحليل الحِجاجى مفيداً في دراسة نصوص أدبية أخرى (قصصية، روائية، مسرحية...).
2. إن هذا التحليل يندرج بشكل عام في إطارما يعرف بالتحليل اللساني للشعر، ولكنه يتميز عما أنجز في هذا المجال من محاولات وأعمال بكونه يسعى إل تطبيق نظرية جديدة لم يتم تطبيقها بعد - حسب علمنا - إلى الآن، وهو يسعى بالتالي إلى توظيف مفاهيم وأدوات تحليلية ومنهجية جديدة.
3. لا ندعي أننا نستطيع الإحاطة بكل المظاهرالحِجاجية لهذا النص الأدبي، فذلك مطمح بعيد المنال، ولكن كل ما نهدف إليه هو استخراج أهم هذه المظاهر، وتأكيد الطابع الحِجاجي العام لهذه القصيدة (نصاً وعنواناً ومعجماً وحواراً وصوراً بلاغية...).
4. من أسباب قيامنا بهذا التحليل، يمكن أن نذكر أيضاً رغبتنا في تطوير النظرية الحِجاجية وتوسيع مجال تطبيقها، بعد أن كان محصوراً في الروابط والأدوات الحِجاجية. فلا ينبغي أن ينحصر التحليل في الأقوال والجمل. وإنما يجب أن يشمل النصوص الأدبية والدينية والسياسية والاقتصادية وغيرها، فنخرج بذلك من مجال القول الضيق إلى فضاء الخطاب الرحب. فمجال الحِجاج إنما هو الحوار والخطاب حيث تظهر وجوه استعماله، وتتجلى طرائق اشتغاله.

الحجاح والشعر:

قبل التطرق إلى علاقة الحِجاج بالشعر نود أن نقف وقفة قصيرة مع أولائك الباحثين الذين ينظرون إلى الشعر والحِجاج على أنهما متعارضان. نجد هذا، مثلاً، عند فيلسوف العلوم الأمريكي تولمين (S. Toulmin)، صاحب كتاب "استعمال الحجج"(2). ويمكن تلخيص موقفه في المعادلة التالية:

الحِجاج # الشعر

ويعلل تولمين رأيه هذا بكون الحِجاج يتأسس ويقوم على الابتذال (La banalité) فليس هناك حجاج فردي . وبعبارة أخرى، فإن الشعر يقوم على الرؤية الفردية، أما الحِجاج فهو يقوم على المعرفة المبتذلة والشائعة. ونحن، وإن كنا نشاطره جزءاً من موقفه ورأيه في الحِجاج، والمتمثل في كون هذا الأخير يقوم على الابتذال، وينطلق من المعرفة المشتركة، فإننا نرى أن ذلك ينطبق على الشعر هو الآخر، كما أن الرؤية الفردية نجدها في هذا وذاك. ولقد كان كثيرٌ من فلاسفتنا العرب، ومعهم بعض النقاد أمثال حازم القرطاجني أكثر اعتدالاً. فبالرغم من أنهم يؤمنون بأن الإقناع والتخبيل مما يميز الخطابة من الشعر، فقد أشاروا في غير ما موضع من كتبهم وأعمالهم الى أن الخطابة قد تستعمل التخييل، والشعر قد يستعمل الإقناع.. فحازم القرطاجني، مثلاً، يرى أنه لما كان لهذين النمطين هدف واحد: "هو إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتتأثر لمقتضاه"(3) فقد اشتركا من تم في الإقناع والتخييل.

وبصفة عامة، فإن أي نص شعرى أو أدبي تكون له، إلى جانب الوظيفة

الشعرية، وظائف أخرى مثل الوظيفة الانفعالية والوظيفة التوجيهية الإقناعية، والتي يعبّر عنها بالتعجب والندبة والاستغاثة والأمر والنداء أو بأسماء الأفعال والروابط التداولية الحِجاجية. إن النص الشعري إذن، ليس لعباً بالألفاظ فقط، وليس نقل تجربة فردية ذاتية فحسب، إنه يهدف كذلك إلى الحث والتحريض والإقناع والحِجاج، وهو يسعى إلى تغيير أفكار المتلقي ومعتقداته، وإلى دفعه إلى تغيير وضعيته وسلوكه ومواقفه.

إلا أن هناك مسألة نود لفت الأنظار إليها - بخصوص علاقة الحِجاج بالشعر- وهي أنه لا بد من التمييز بين نمطين من الحِجاج الطبيعي:

- الحِجاج باعتباره تقنيات بلاغية ومنطقية وأصولية وكلامية، تنتمي إلى البلاغة القديمة والحديثة، أو المنطق الطبيعي أو فلسفة العلوم أو أصول الفقه وعلم الكلام...
- الحِجاج باعتباره آليات لغوية محض وهو ما يشكل موضوع نظرية الحِجاج في اللغة. فالحِجاج هنا ظاهرة لغوية نجدها في كل قول وفي كل خطاب، سواءً أكان الخطاب فلسفياً أو أدبياً أو دينياً أو اقتصادياً أوسياسياً... الحِجاج بالنسبة لهذا المنظور الأخير (وهو الذي نتبناه بالطبع في تحليلنا) نجده في الأسماء والأفعال والصفات والظروف والحروف، ونجده في التراكيب النحوية والصور البلاغية. نجد باختصار في كل ظواهر اللغة بشكل أو بآخر.

وإذا كنا في فصل آخر[4] قد قسمنا الاستعارة إلى نوعين:

استعارة حجاجية واستعارة غير حجاجية، فإننا سنفعل الشيء نفسه

بخصوص الشعر فهناك شعر حجاجي وشعر غير حجاجي. وهذا الأخير عبارة عن تلاعب بالألفاظ يكون الغاية منه إظهار البراعة في استعمال اللغة، والتمكن من قوانين الصناعة الشعرية، ونجده بشكل خاص عند البلاغيين والمغرمين بالبديع الذين يضمنون شعرهم كل ألفاظ الغريب وكل المحسنات البديعية. ويمكن أن نورد بيتاً شعرياً لإبن الوأوأ الدمشقي، باعتباره نموذجاً لهذا النمط من الشعر:

فأمطرت لؤلؤاً من نرجسٍ وسقت

ورداً وعضت على العناب بالبردِ

إن الملاحظة البسيطة كافية لأن تبين لنا أن هذا النمط من الشعر لا علاقة له بالحِجاج، ولا يمكن الحديث بشأنه عن التواصل والتفاعل، أو عن المقاصد والمقامات التداولية، بل لا يمكن الحديث بشأنه حتى عن التجربة الانفعالية وصدق المعاناة وغير ذلك من المصطلحات التي يشيع استعمالها بين النقاد والأدباء.

ومع تسليمنا بوجود شعر حجاجي، فإننا نؤمن بأن طبيعة الحِجاج وقوته تختلف من نص شعري لآخر، وكلما كان الشاعر صادقاً في معاناته. ساعياً إلى تبليغ خطابٍ ما رامياً إلى التخاطب والتواصل مع الآخرين، له غاية واضحة وهدف محدّد يرمي إليه، كلما كان شعره أكثر حجاجية. ثم إن نسبية الحِجاج وارتباطه بمقاصد المتكلمين وسياقاتهم التداولية والاجتماعية هو من المبادئ التى تقوم عليها نظرية "الحِجاج في اللغة"، بل وأغلب النظريات الحِجاجية القديمة والحديثة.

التحليل الحِجاجي للقصيدة

1- دلالة العنوان:

لعل القارئ يدرك مقدار الأهمية التي يوليها الباحثون المعاصرون لدراسة العناوين، لاسيما أنه قد ظهرت بحوث ودراسات لسانية وسيميائية عديدة في الآونة الأخيرة، وذلك بغية دراسة العنوان وتحليله من نواحيه التركيبية والدلالية والتداولية. فالعنوان كما يقول محمد مفتاح مثلاً "يقدم لنا معونة كبرى لضبط انسجام النص، وفهم ما غمض منه، إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه، وهو الذي يحدد هوية القصيدة، فهو - إن صحت المشابهة- بمثابة الرأس للجسد، والأساس الذي تبنى عليه"(5).

وعنوان القصيدة التي بين أيدينا (العلة) يحتمل أكثر من قراءة، وسنحصر القراءات الممكنة لهذا العنوان في قراءتين اثنتين هما:

- العلة = السبب

- العلة = المرض

هناك، إذن، قراءة ضمنية تنسجم مع التحليل الحِجاجي الذي نود القيام به، ومع ظواهر لغوية بارزة في القصيدة، منها مثلاً، الرابط الحِجاجي لكن الذي تكرر ذكره عدة مرات وفي كل أجزاء القصيدة، وقراءة ثانية ظاهرة تنسجم مع المضمون العام والصريح للنص، الذي هو "المرض". فالعنوان - حسب القراءة الأولى - يشير إلى وجود علاقة علية وسببية (علاقة حجاجية بتعبيرنا نحن) بين أجزاء النص الشعري كله، بين الأعمال التي يرغب الشاعر- الإنسان في القيام بها وبين

الأسباب التي تمنع حدوث ذلك، إنها علاقة سبب بمسبب وعلة بمعلول. وهذه الأعمال المراد القيام بها والموانع التي تحول دون ذلك، هي الواردة في الجمل والأسطر الشعرية التالية:

كدت أستجيب - خشيت أن يلمحني الرقيب

أردت أن أجيب - خشيت أن يسمعني الرقيب

حاول رفع هامتي - خفضتها

أود أن أرفع رأسي - أخاف أن... يحذفه الرقيب

أما إذا أخذنا بالقراءة الأخرى الممكنة للعنوان، فإن هذا الأخير يكون إذاك مرادفاً لكلمة "المرض". وقد يظن أن المرض المتحدث عنه هنا هو من قبيل الأمراض المعروفة التي تعتري ذواتنا وتصيب أجسامنا، والحق أن كلمة "المرض" هنا لها معنى عام، فليس المقصود بها ذلك المرض الجسدي الذي ينتج عن حادثة أو اختلال وعطب في أعضائنا وأجهزتنا، ولكن المرض الذي يقصده الشاعر الإنسان، مرض نفسي اجتماعي إنساني، مرض يتعلق بالإنسان باعتباره إنساناً له حقوق ومتطلبات، وباعتباره إنساناً يرغب أن يعيش وفق فطرته وطبيعته البشرية. وقد يظن أن هذين التأويلين الممكنين للعنوان، منفصلان عن بعضهما البعض، والحق أنهما متداخلان ومتكاملان، بل إن القراءة الثانية (العلة = المرض) تندرج ضمن القراءة الأولى، وتشكل إحدى التحققات الممكنة لها. وبعبارة أخرى فإن العلاقة بينهما هي علاقة خاص بعام أو علاقة مثال بنموذج.

وإذا ما اعتمدنا نظرية الأطر[6] التي تندرج ضمن البحوث والدراسات اللسانية والنفسية والمعرفية الحديثة التي قيم بها لضبط الآليات التي تتحكم في

عملية إنتاج الكلام أو الخطاب وفهمه، والتي ترى "أن معرفتنا مختزنة في الذاكرة على شكل بنيات معطاة ممثلة الأوضاع متكررة نستقي منها عند الاحتياج إليها لنتلائم مع الأوضاع الجديدة التي تواجهنا"(6) فإنه يمكن تحليل النص انطلاقاً من إطارين مختلفين: إطار "المرض" وهذا يستدعي وجود الطبيب والمريض والدواء والمعدات الطبية... وإطار "العلية والسببية" الذي يشمل العلل والمعلولات، والأسباب والمسببات، وأنماط العلاقات القائمة بينهما. ولا بد من الإشارة إلى علاقة العنوان بالإطار، فالعنوان هو مفتاح الإطار والعنصر الأول فيه. أما مسألة الإطار الوارد فتتوقف على التأويل أو القراءة التي نقوم بها لهذا العنوان. ويبدو أن اختيارالشاعر لهذا العنوان لم يكن اختياراً اعتباطياً أو عفوياً، بل هو اختيار مقصود.

أما الطبيعة الحِجاجية لعنوان القصيدة فتتمثل في أن الشاعر يقدمه على أنه دليل أو حجة تخدم نتيجة معينة من نمط "ينبغي إيجاد علاج للمرض"، أو يجب إزالة الأسباب لتزول المسببات، وتتمثل في مقصدية الشاعر وبرنامجه الحِجاجي، وتتمثل أخيراً في نص القصيدة بكامله الذي يعتبر تمطيطاً لهذا العنوان.

2- البنية الهيكلية للنص:

إذا أخذنا بعين الاعتبار المعايير السيميولوجية المعروفة مثل البياض ونظام علامات الوقف ومعايير لغوية أخرى، فإننا سنقسم القصيدة إلى ثلاثة مقاطع شعرية:

المقطع الشعري رقم 1: ينطلق من البداية وينتهي بـ: "يلمحني الرقيب".

المقطع الشعري رقم 2: يبدأ من وقال مم تشتكي؟ إلى "يسمعني الرقيب".

المقطع الشعري رقم 3: يبدأ من "وعندما حيرته" إلى نهاية القصيدة "يحذفه الرقيب".

ومما يدعم هذا التقسيم أمور كثيرة منها القافية المشتركة التي ينتهي بها كل مقطع، والمتمثلة في لفظة "الرقيب"، ومنها أيضاً أن الأفعال اللغوية الرئيسية في القصيدة ثلاثة (الأمر، السؤال، التمني)، وأوصاف الرقيب ثلاثة (يلمح، يسمع، يحذف). وقد جاءت هذه الأفعال وهذه الأوصاف موزعة على المقاطع الشعرية الثلاثة، فكان المقطع الأول متضمناً لفعل الأمر والرقابة البصرية، وكان المقطع الثاني متضمناً لفعل السؤال والرقابة السمعية، أما المقطع الثالث فنجد فيه فعل التمني والرقابة على الحركات. يمكن أن نذكر أيضاً أن حركات الطبيب ثلاثة: أمر وسؤال وحركة فعلية (تفحص المريض ومحاولة رفع رأسه)، ورغبات المريض هي الأخرى ثلاثة (الاستجابة، الإجابة، رفع الرأس عالياً)، وهذه تقابل تلك، ورد الفعل يكون من جنس الفعل، ولكن بالرغم من كل ما تقدم، فإننا سنقوم بتقسيم النص الشعري إلى أربعة مقاطع شعرية هي:

المقطع الأول: ينطلق من البداية وينتهي بـ"يلمحني الرقيب"

المقطع الثاني: يبدأ من "وقال مم تشتكي؟" إلى "يسمعي الرقيب".

المقطع الثالث: يبدأ من "وعندما حيرته.." إلى "ولذت بالنحيب".

المقطع الرابع: يبدأ من "قلت له..." إلى "يحذفه الرقيب".

وهذا التقسيم يوافق ما نرغب في القيام به من تحليل حجاجي للقصيدة، وتدعمه هو الآخر، أشياء كثيرة منها عدد العلائق الحِجاجية التي ذكر فيها الرابط الحِجاجي "لكن". ويمكن أن نذكر أيضاً أن ردود فعل الشاعر أربعة وهي موزعة على المقاطع الأربعة، ففي المقطعين الأول والثاني، ردود الفعل كانت مستترة ولم تظهر على السطح وإنما بقيت عبارة عن رغبات لم تحقق، ونجد في المقطع الثالث رد فعل غير كلامي (خفض الرأس بعد أن حاول الطبيب رفعه) أما المقطع الرابع والأخير فهو يتضمن رد فعل كلامي، يتضمن جواباً يفسر كل ردود الفعل السابقة ويشرح الوضعية بشكل عام.

مجموع هذه المقاطع هو ما يشكل نص القصيدة، وسنحاول فيما يلي دراسة البنية الداخلية للمقطع الشعري، ثم للقصيدة بمجملها. والنص - كما هو معلوم - بنية تحكمها قوانين داخلية، بالإضافة إلى القوانين الخارجية. ولا يمكن اعتباره كذلك إلا إذا كان متلاحم الأجزاء ومترابط العناصر، وإلا إذا كان منسجماً، والانسجام(8) معناه أن النص مبنيٌّ بكيفية ما، يحكمه منطق معين، وأنه ليس مجموعة من الجمل التي ضم بعضها إلى بعض بكيفية اعتباطية وبدون أي نوع من أنواع الربط المعجمي والنحوي والتداولي. إن الانسجام الذي سنقف عنده محاولين استجلاء مظاهره وسماته في القصيدة، والذي يتلاءم والتحليل الحِجاجي الذي نود القيام به، هو ما يمكن أن ندعوه بالانسجام الحِجاجي.

وإذا كانت العناصر الصوتية والمعجمية والإيقاعية تلعب دوراً بارزاً في تحقيق انسجام النص، فإن التركيب هو المنظم له. وللتركيب أدوات تضمن تلاحم أجزاء النص وترابط عناصره واتصال بعضه ببعض، من أهمها الروابط، التي درسها اللغويون والمناطقة وفلاسفة اللغة وعلماء النفس اللغوي، ويمكن أن نشير هنا إلى نوعين اثنين فقط وهما:

- **الروابط النحوية مثل الواو والفاء وثم...إلخ.**
- **الروابط التداولية الحِجاجية نحو"بل" و"لكن" و"حتى" وغيرها.**

وإذا كان الرابط النحوي "الواو" الذي يأتي في بداية كل مقطع يقوم بالربط بين المقاطع الشعرية، محققاً بذلك للنص الشعري اتساقه وتلاحمه وانسجامه النحوي والنصي، فإن الرابط الحِجاجي "لكن" الذي يرد داخل كل مقطع، يحقق الانسجام التداولي والحِجاجي لكل مقطع على حدة، ويحققه أيضاً للقصيدة برمتها. فعلى مستوى المقطع نجد أن الرابط الحِجاجي "لكن" يقوم بالربط بين كل أجزاء المقطع، ويحقق له قدراً كبيراً من الانسجام والاستقلال الذاتي، ويذكرنا هذا بوحدة البيت واستقلاله في قصائد الشعراء الجاهليين. إن الربط المشار إليه هنا هو الربط التداولي الحِجاجي، وليس مجرد الربط النحوي، فهذا الأخير يندرج في النوع الأول ويشكل إحدى تحققاته السطحية الظاهرة.

أما على مستوى النص، فإنه يمكن افتراض أو تخيل وجود رابط حجاجي مضمر يربط بين المقاطع الشعرية الأربعة بعضها ببعض، والذي يؤيد الافتراض ويدعمه، العنوان نفسه "العلة" الذي يشير إلى وجود علاقة حجاجية بين أجزاء القصيدة، قد تكون هي علاقة السببية في أحد مستويات التحليل، وحسب إحدى

القراءات الممكنة للعنوان.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن مفهوم العلاقة الحِجاجية مفهوم شامل وواسع جداً بحيث يشمل عدداً كبيراً من العلاقات الدلالية مثل: العلية، الشرط، الاستنتاج... إلخ.

ويمكن أن نرمز للعلاقة الحِجاجية بالرسم التالي:

رسم رمزي: ح———] ن

حيث يشير "ح" إلى الحجة أو الدليل الذي يخدم نتيجة معينة، و"ن" يشير إلى هذه النتيجة نفسها. وهذه العلاقة تختلف عن علاقة الاستلزام المنطقي التي يرمزإليها بـ (←)، وتختلف أيضاً عن علاقة الاستلزام التداولي، وهذا بالرغم مما نجده من أوجه التشابه بينهما، وهذه المقاطع متشابهة، وتكاد تكون متماثلة، بحيث نجد أنه من الممكن القيام باختزال النص بمقاطعه الأربعة - وذلك في مستوى مجرد وعميق - إلى مقطع واحد يتضمن علاقة حجاجية واحدة يمكن أن نصوغها صياغة شبه صورية على هذا النحو:

أريد أن... ولكن أخاف أن...

ويمكن التعبير عن هذه العلاقة بهذا الشكل (أريد أن أعيش حياة حرة وكريمة ولكن أخاف أن أعاقب على ذلك) أو بشكل آخر. ولكن بالرغم مما يبدو لنا من استقلال لكل مقطع من هذه المقاطع، وما نجده من أوجه تشابه وتماثل بينها، فإن هناك اختلافات دلالية وتداولية وحجاجبة واضحة تميز بينها، ثم إن هذه المقاطع تقوم بينها علاقات تسلسل وترابط.

ولنعد إلى بنية المقطع الداخلية والى الرابط الحِجاجي مرة أخرى لتوضيح

الدورا لذي يقوم به هذا الأخير في ضمان وحدة المقطع وتماسكه، وجعله منسجماً تـداولياً وحجاجيـاً. إن طبيعـة الـربط الحِجـاجي الـذي تقـوم بـه الأداة "لكـن"، وانطلاقاً من الأوصاف اللسانية التي قدمت للرابط الذي يقابلها في اللغة الفرنسية (Mais) من قبل أزفالد ديكرو (O. Ducrot) وزملائه وتلامذته، فإن الدليل الـذي يـرد بعد "لكن" يكون أقوى من الدليل الذي يـرد قبلـها، وتكـون لـه الغلبـة بحيـث يـتمكن من توجيه القول بمجمله، فتكون النتيجة التي يقصد إليها هذا الدليل ويخدمها هي نتيجـة القـول برمتـه، وقـوة الأدلـة الحِجاجيـة الـتي يوردهـا الشـاعر بعـد الـرابط الحِجـاجي "لكـن" هـي التي تفسر لنـا ردود الفعل السلبية التي كـان الشـاعر ينتهـي إليهـا، فـنحن نجـد في كـل مقطـع وفي كـل علاقـة حجاجيـة، أن النتيجـة التي يـؤدي إليها الدليل الذي يرد بعد "لكن" سلبية. وهذا ينطبق على كل العلائـق الحِجاجيـة، وينطبق بالتـالي علـى كـل مقـاطع الـنص وأجزائـه. فـالإنسـان الـذي يقـدم لنـا الـنص صـورة عنـه هـو إنسـان مقمـوع ومقهـور، محـروم مـن حريتـه وإرادتـه. ومـن رغبتـه في استعمال حريته وحقوقه، إنه إنسان أبكم وأصم ومشلول الحركة والإرادة.

وهـذا يؤكـد مـا تحـدثنا عنـه آنفـاً بخصـوص انسـجام القصـيدة تـداولياً وحجاجياً، ويؤيد افتراض وجود علاقة حجاجية مضمرة، في مستوى مجرد وعميـق، تحكم النص بمجمله.

ويمكـن أن نشير أيضـاً إلى ظـاهرة لغويـة أخـرى، لهـا دور بـارز وواضـح في ضمان انسجام النص وتوالده، تتمثل فيما يمكـن أن نـدعوه بـالتعـارض الحِجـاجي، ونمثل له بهذه الثنائية:

الطبيب / الرقيب

إن هذا التعارض هو الذي يشكل محور النص وفضاءه العام، إذ إن الشاعر ظل يتراوح بينهما، وإن كان يغلب الجانب الثاني ويخضع له في كل مرة وفي كل موقف ومشهد. لقد كان الشاعر - الإنسان يعيش تمزقاً نفسياً رهيباً، فهو موزع بين الطبيب الذي يوجه إليه أوامر وإرشادات أولية، ويطرح عليه أسئلة، والذي يتفحصه بعينه ويحاول رفع هامته، وهو عاجز عن أن يرفع رأسه ويُسمِع شكواه للطبيب ويدله على مكمن الداء وموطن المرض، وبين خوفه من الرقيب الذي لن يتورع في إحباط كل محاولاته، فسيحذف رأسه إن هو حاول رفعها عالياً، وسيسكته إلى الأبد إن هو حاول أن يتكلم أو أن يجيب على ما قد يوّجه إليه من سؤال.

وليكون الحِجاج أقوى، والمشهد أكثر تأثيراً، والهول أبلغ في النفوس، فإن الشاعر كان يختار بعناية كلماته ومفرداته، وإلا فلم استعمل لفظة "يلمحني" بدلاً من "يراني"؟ ولماذا استعمل كلمة "خشيت" في سياق السمع والرؤية، و"أخاف" في سياق الموت.

3- الاستعارة الحِجاجية:

لقد سبق أن أشرنا في بحث سابق(9)، إلى أهمية الاستعارة وحضورها الدائم والمتميز في حواراتنا اليومية وخطاباتنا الأدبية والسياسية والدينية والاقتصادية. فبالإضافة إلى كونها تشكل إحدى الخاصيات الجوهرية للغات الطبيعية، فإنها تعتبر من الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحِجاجية، بل إنها تأتي في المقام الأول، لا سيما أن القول الاستعاري يتمتع بقوة

حجاجية عالية إذا ما قورن بالأقوال العادية. وإذا ما عدنا إلى النص الشعري الذي نحن بصدد تحليله ودراسته، فإننا نجده يتضمن مجموعة مهمة من الاستعارات الحِجاجية، بل ويكاد يكون استعارياً بشكل تام، منها مثلاً:

- **خذ نفساً.**
- **من فرط اختناقي بالأسى والقهر.**
- **حاول رفع هامتي.**
- **لكنني خفضتها.**
- **أود أن أرفع رأسي عالياً.**
- **يحذفه الرقيب.**

ونرى بشكل واضح أن الاستعارات السابقة هي من النمط الحِجاجي، ولا يمكن ادعاء أنها مقصودة لذاتها. بل إنها مرتبطة بمقاصد الشاعر - المتكلم وأهدافه الحِجاجية، وهي تساهم بشكل كبير في فعل الحِجاج الذي يمثله هذا النص نفسه.

لن نقوم هنا إلا بتحليل نموذج واحد من هذه الإستعارات، وليكن المثال التالي:

- **أود أن أرفع رأسي عالياً.**

فهذا القول هو استعارة، لأن الذي يريد الشاعر إبلاغه وتوصيله إلى المتلقي. وهو "أريد أن أعيش حياة حرة وكريمة، معززاً محترماً، أتصرف وفق إرادتي ورغباتى ثم إنشاؤه انطلاقاً من نموذج حسي هو رفع الرأس إلى الأعلى"، فتم التعبير عن الارتفاع المعنوي بالارتفاع الحسي المادي. وهذا يشكل أقوى حجة

وأقوى دليل لخدمة النتيجة المقصودة. فالشاعر - الإنسان لا يستطيع حتى أن يرفع رأسه إلى الأعلى، وهذا يدل على ما يعانيه من قمع وقهر وظلم، ولو أنه عبّر عن هذا المعنى بقول عادي من نمط "أريد أن أكون حراً ومعززاً" لما كان لكلامه هذه القوة الحِجاجية العالية التي نجدها في القول الاستعاري السابق. وهذا المثال يلتقي في التعبير عن هذا المعنى، مع أقوال استعارية أخرى وردت قبله في القصيدة، وهي "حاول رفع هامتي" و"لكني خفضتها". وهذا يبين لنا الدور الذي لعبته هذه الاستعارات في جعل النص الشعري ذا قوة حجاجية عالية.

4- تقنية التكرار:

إن تكرار الرابط الحِجاجي وكذا مفردات بعينها، الذي نجده في النص الشعري، والذي ساهم في جعله منسجماً إن بنائياً وإن تداولياً وحجاجياً، ليس هو ذلك التكرار المولد للرتابة والملل، أو التكرار المولد للخلل والهلهلة في البناء، ولكنه التكرار المبدع الذي يدخل ضمن عملية بناء النص أو الكلام بصفة عامة، إنه التكرار الذي يسمح لنا بتوليد بنيات لغوية جديدة باعتباره أحد ميكانزمات عملية إنتاج الكلام، وهو أيضاً التكرار الذي يضمن انسجام النص وتوالده وتناميه.

وإذا نظرنا في هذه القصيدة، فإننا نجد أن التكرار يشمل عناصر عديدة:

- تكرار الرابط الحِجاجي "لكن".
- تكرار الألفاظ بعينها نحو: الرقيب، خشيت، الطبيب، رأس، رفع، هامتي، إلخ.
- تكرار صيغ تركيبية: "خشيت أن... الرقيب".

- **تكرار مقاطع النص (من حيث شكل المقطع وبنيته الهيكلية).**
- **تكرار مواقف الشاعر - المريض تجاه تصرفات الطبيب (الموقف السلبي هو ما ينتهي إليه الشاعر دائماً).**

وبخصوص تكرار المقاطع، فنحن نلاحظ أن المقطع ينتهي دائماً بكلمة "الرقيب"، وخاصة إذا قمنا بتقسيم النص إلى ثلاثة مقاطع،.وهو ما يوافق نظام علامات الوقف، ويوافق أشياء أخرى نجدها في القصيدة. فالحدث يصل إلى قمته في المقطع الثالث، والطبيب تجاوز مرحلة الفعل اللفظي إلى مرحلة الفعل غير اللفظي، فبعد الأسئلة التي طرحها على المريض، وبعد الأوامر والنصائح التي وجهها إليه، نجده يحاول رفع رأس المريض بيديه، ولكن هذا الأخير يحول دون ذلك. ففي هذا المقطع الذي وصل فيه الطبيب إلى حد الحيرة، يأتي جواب الشاعر - المريض، مفسراً لكل ما مضى، مجيباً عن أسئلة الطبيب واستفساراته، ومبرراً سلوكه وتصرفاته، وواضعاً بذلك حداً ونهاية للحوار، وبالتالي نهاية للنص- القصيدة.

فما نخلص إليه - مما تقدم - هو أن التكرار، وهو سمة غالبة على خطاباتنا وحواراتنا اليومية، يشمل جميع عناصر النص الصوتية والتركيبية والدلالية والتداولية. والسؤال المطروح هو: كيف ساهم التكرار في تنامي النص وانسجامه دائماً ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه بنوع من الإيجاز.

إن تكرار الرابط الحِجاجي، وبالتالي العلاقة الحِجاجية التي ينشئها هذا الرابط، ساهم بشكل كبير وفعّال في تنامي النص وتوالده وانسجامه. فالعلاقات الحِجاجية تقوم بينها علاقات تسلسل وترابط، وفق المبدأ السيميائي المعروف: مبدأ ارتباط اللاحق بالسابق، ثم إن العلاقة الحِجاجية الجديدة تضيف عناصر

دلالية وحجاجية جديدة إلى العلاقة السابقة. فلفظة الرقيب التي ورد ذكرها في كل مقاطع النص وأجزائه، تختلف دلالتها من مقطع لآخر، ومن سياق لسياق، حيث يتم التركيز على هذا الجانب أو ذاك. فالرقيب يوصف في كل مرة، وفي كل مقطع جديد، وداخل كل علاقة حجاجية جديدة بوصف جديد ومغاير، فهو يرى ويلمح كل شيء في المقطع الأول، وهو يسمع أي صوت حتى ولو كان خافتاً في المقطع الثاني وهو يحذف كل رأس يرفعها صاحبها في المقطعين الأخيرين. ونشير هنا إلى أن الرابط الحِجاجي هو الذي كان يسمح لنا في كل مرة بإنشاء علاقة حجاجية جديدة، وبإضافة عناصر وأوصاف دلالية أخرى لنحصل في النهاية على صورة متكاملة لوضعية الشاعر - الإنسان من جهة، ووضعية الرقيب من جهة أخرى، وهو الذي يجعل النص نفسه يأخذ شكله المنسجم وصورته النهائية.

إن تكرار المفردات (الطبيب، الرقيب، خشيت، رفع الرأس...) وتكرار ردود أفعال الشاعر وتصرفات الطبيب يجد تفسيره فيما تقدم، فكل عنصر من هذه العناصر يساهم بشكل من الأشكال، وحسب ما له من إمكانات تعبيرية وتبليغية في خلق الانسجام الحِجاجي، وفي إنجاح العملية التواصلية التي يسعى الشاعر إلى أن يقيمها مع المتلقي، وفقاً لمقاصده وأهدافه الحِجاجية، ووفقاً لشروط ومتطلبات السياق التخاطبي والاجتماعي العام.

لن نسترسل في وصف كل مظاهر التكرار في هذا النص أو في الكشف عن جميع وظائفه واستعمالاته، فليس هذا ما يشكل موضوع البحث، وما يهدف إليه التحليل، ولكن نود مع ذلك، أن نقف عند مفهوم أساسي من مفاهيم النظرية الحِجاجية، له ارتباط بكل ما سبق، وخاصة مفهوم الانسجام الحِجاجي.

هذا المفهوم هو ما يدعى ويعرف ب "الوجهة" أو "الاتجاه الحِجاجي"، ومفاده أنه إذا كان كل قول وكل خطاب يمكِّن من إنشاء فعل حجاجي، وذلك في إطار الفرضية التي تقول بالطبيعة الحِجاجية للغات الطبيعية، فإن القيمة الحِجاجية لهذا القول أو الخطاب يتم تحديدها بواسطة الاتجاه الحِجاجي، وهذا الأخير قد يكون صريحاً أو مضمراً. فإذا كان القول أو الخطاب معلماً **(Marque)**، أي مشتملاً على بعض الروابط والعوامل الحِجاجية، كما هو الحال بالنسبة للقصيدة، فإن هذه الأدوات والروابط تكون متضمنة لمجموعة من التعليمات والإشارات التي تتعلق بالطريقة التي يتم بها توجيه القول أو الخطاب من قِبل المتكلم، ويتم بها تأويله من قبل المتلقي- المخاطب.

أما في حالة كون القول أو الخطاب غير معلم، فإن التعليمات المحددة للاتجاه الحِجاجي تستنتج إذاك من ألفاظ الخطاب ومفرداته، بالإضافة إلى مقاصد المتكلم والسياق التخاطبي العام. وفعل التوجيه الحِجاجي هو الذي يضمن للخطاب انسجامه التداولي والحِجاجي.

5- الحوار والحجاج

هناك أنواع عديدة من الحوار: الحوار الصريح، الحوار المضمر، الحوار الأفقي، الحوار العمودي... إلخ، والنص الذي بين أيدينا أتى كله على شكل حوار صريح ومباشر، ويبين هذا ما نجده في النص من مؤشرات عديدة مثل: "قال لي الطبيب"، "أردت أن أجيب"، و"قال"...، بالإضافة إلى الأفعال اللغوية من أمر واستفهام وعناصر لغوية أخرى.

والحوار هو أهم أشكال التفاعل اللفظي، وهو المجال الطبيعي الذي يقع فيه الحِجاج بامتياز. إن الحوار الذي نجده في القصيدة يتم داخل مؤسسة معينة، وعندما نذكر لفظة "المؤسسة"، فإنه يتبادر إلى ذهننا ما يمكن تسميته بالسلطة المعنوية للسائل، والتي لا بد للمسؤول من الخضوع لها: ففي المدرسة، يسأل المعلم والتلميذ يجيب، وفي العيادة يسأل الطبيب والمريض يجيب، وفي المحاكم يسأل القاضي والمتهم يجيب، والشيء نفسه بالنسبة لنصنا هذا، فالطبيب يسأل، والمريض ملزم بالجواب، بل إن الطبيب هنا لا يسأل فقط، وإنما يقوم بكل ما ينبغي القيام به (مثل ما يجري في الحياة اليومية وفي أي عيادة)، وهو يسأل ويأمر ويوجه النصائح والإرشادات ويقوم بحركات وتصرفات يفحص من خلالها المريض، وإذا كان المريض لم يقدم أي تفسير لسلوكه أو أي جواب عن أسئلة الطبيب إلا في نهاية الحوار، فهذا لا يعني أنه لم يكن خاضعاً للسلطة المعنوية التي للسائل، فالعبارات "كدت أستجيب" و"أردت أن أجيب" وغيرها تؤكد خضوع المريض لسلطة الطبيب، واستعداده لتنفيذ ما قد يُطلب منه، ولكن المريض كان موزعاً بين سلطتين: السلطة المعنوية التي للطبيب داخل مؤسسته، وسلطة الرقيب التي تحكم كل أنواع السلطة وتشرف عليها. وقد كان الشاعر - المريض خاضعاً في بداية الحوار ووسطه لسلطة الرقيب، فلم يصدر عنه أي سلوك يفهم منه الخضوع لسلطة الطبيب، سواء أكان هذا السلوك جواباً عن سؤال أو انصياعاً للأمر، إلا أنه في نهاية الحوار يتمرد على سلطة الرقيب، مجيباً عن أسئلة الطبيب ومفسراً لسلوكه وتصرفاته.

إن الطابع الحواري لهذا النص أكسبه قوة حجاجية عالية، وجعلنا نتبين

بوضوح الوظيفة الحِجاجية والإقناعية التي هي إحدى وظائف النص الشعري، والنص الأدبي بوجه عام.

6- الأفعال اللغوية:

إن الأفعال اللغوية أو الأساليب الإنشائية كما يسميها البلاغيون، تعد إحدى مكونات الحوار أو الخطاب الأساسية. والأفعال اللغوية(10) هي الجمل والأقوال التي لا تصف أي واقع في العالم الخارجي، فلا يمكن أن يقال عنها إنها صادقة (مطابقة لواقع ما)، أو كاذبة (غير مطابقة له)، ولكن مجرد النطق بها يشكل في حد ذاته فعلاً معيناً، فجملة مثل "ما أجمل هذه الورود!" يشكل مجرد النطق بها إنجازاً لفعل التعجب.

وإذا ما عدنا إلى القصيدة فسنجد أن أول فعل لغوي يرد فيها هو الأمر، ونجده في القول التالي "خذ نفسا". والطبيب يصدر هذا الأمر بموجب السلطة المعنوية التي تخولها له المؤسسة التي ينتمي إليها، وكان لا بد للمريض أن يمتثل ويستجيب لها، ولكن شيئاً من ذلك لم يحصل لأن المانع كان أقوى. فبالرغم من حالة المريض المتردية والمعبر عنها بـ"من فرط اختناقي بالأسى والقهر" وهنا إشارة بالطبع إلى نوع المرض الذي يعاني منه المريض، فإنه ليس ذلك المرض الجسدي الذي ينصح معه بتناول بعض الأدوية، ولكنه القهر والقلق والإرهاق وفقدان الأمل والحرية)، وبالرغم أيضاً من السلطة المعنوية والمؤسسية التي للطبيب، وبالرغم أخيراً من الطبيعة القانونية للفعل اللغوي، فهو فعل قانوني ملزم(11) فإن الشاعر -المريض لا يستجيب للطبيب ولا ينفذ أوامره لأن هناك موانع تحول دون ذلك، أو

إن شئنا هناك أوامر مضادة تصدر عن مؤسسات عليا. ولنعد إلى تحليلنا الحِجاجي لنبين الطبيعة الحِجاجية التي لهذا الفعل اللغوي ولغيره من الأفعال اللغوية ومساهمتها في البرنامج الحِجاجي العام. إن القول "خذ نفساً" هو حجة يوظفها الشاعر لصالح نتيجة من نمط "أنت مرهق ومتعب"، فالحجة صريحة والنتيجة ضمنية، ويمكن أن نرمز لها بهذا الشكل:

خذ نفساً———] أنت مرهق

ويمكن أن نتصورالعكس، فيكون القول "خذ نفساً" هو النتيجة التي يقصد إليها المتكلم، وهي مصرح بها، وتكون الحجة "أنت مرهق" ضمنية ومضمرة، وتكون العلاقة الحِجاجية آنذاك على هذا الشكل:

أنت مرهق———] خذ نفساً

والتي يمكن التعبير عنها بجملة من نمط "أنت مرهق"، إذن "خذ نفساً" أو "خذ نفساً لأنك مرهق" إلى غير ذلك من التعابير والأشكال الممكنة. ويبدو أن الأقوال والجمل التي ترد في النص بعد هذا القول ترجح التأويل الثاني وتدعمه. وإذا كان تنفيذ الأمر هو النتيجة التي تخدمها الحجة المضمرة، وتتضمن النتيجة أيضاً قدرة المريض على القيام بذلك وإذا كان هذا لم يحصل فلأن هناك حجة مضادة أوردها الشاعر مباشرة بعد الرابط الحِجاجي "لكن"، وهي تخدم النتيجة المناقضة للنتيجة السابقة، هذه الحجة تتمثل في قول الشاعر- "خشيت أن يلمحني الرقيب" وتكون النتيجة إذاك هي أن المريض لن يأخذ نفساً، وأنه لا يقدر على القيام بذلك، وقد أشرنا وقد أشرنا فيما سبق إلى أن الحجة التي ترد بعد "لكن" تكون أقوى حجاجياً، وأنها توجه القول بمجمله. وقبل أن ننتقل إلى فعل لغوي

آخر، والذي نجده في المقطع الثاني، نريد أن نشير إلى أن العلاقة الحِجاجية، التي تحكم المقطع الأول من القصيدة، والتي يدخل فعل الأمر السابق الذكر ضمن مكوناتها وعناصرها، تشتمل بالإضافة إلى الرابط الحِجاجي على نوع آخر من الأدوات الحِجاجية، وهو ما يعرف بـ "العامل الحِجاجي"، ونجده في قول الشاعر "فكدت...".

والعامل الحِجاجي، خلافاً للرابط الحِجاجي، لا يربط بين متغيرات حجاجية (بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج...) ولكنه يقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحِجاجية التي تكون لقول ما. وسنعتمد في تحليل قول الشاعر "فكدت أستجيب" على: مفهومي الاقتضاء والحِجاج، وكل منهما يعتبر فعلاً لغوياً خاصاً، وذلك بالمقارنة مع الأفعال اللغوية الأخرى من أمر وتمن وتعجب وسؤال، لنبين أن مفهوم الحِجاج يقدم لنا فائدة كبرى وخدمة جلى، بل إنه الفعل اللغوي الذي يحكم الأفعال اللغوية الأخرى ويوجهها لخدمة غاياته وأهدافه.

فإذا اعتمدنا مفهوم الاقتضاء، فإننا سنقول: إن مقتضى القول "فكدت أستجيب" هو أن الاستجابة لم تحصل .فهذا القول يقتضي ذلك، ووجود المؤشر اللغوي "فكدت" يوضحه ويؤكده، ولن نستطيع أن نقول أكثر من هذا الذي قلناه، ولا أن نربط هذا القول بالقول الذي يسبقه أو الذي يليه.

أما مفهوم الحِجاج فهو يتيح لنا هذا الربط بين مقاطع النص وأجزائه، وبين الأقوال والجمل داخل المقطع الواحد. فحسب التحليل الحِجاجي، فإن الحجة "كدت أستجيب" تسير في الاتجاه الذي تؤدي إليه الحجة "استجبت"

وتخدم النتيجة التي تخدمها هذه الحجة، ويمكن التمثيل لهذه العلاقة على الشكل التالي:

استجبت——————] الاختناق شديد

كدت أستجيب———] الاختناق شديد

وإذا كان هناك فرق بينهما على مستوى الاقتضاء، إذ أن الاستجابة حصلت في الحالة الأولى ولم تحصل في الثانية، وكان هناك بالتالي فرق قضوي وإخباري ، فإنهما تشتركان في الوجهة الحِجاجية، وفي النتيجة التي تخدمانها وتقصدان إليها. وقد اختار الشاعر الحجة الثانية "كدت أستجيب" لأنها تعبر عن موقفه العام وحالته الوجودية، ثم إنها تندرج ضمن الاستراتيجية الحِجاجية العامة التي اختارها واعتمدها. وتنسجم مع عناصرها ومكوناتها. فاختيار الحجج هو جزء من اختيار أعم وأشمل يتعلق باختيار البرنامج العام. وهو مرتبط بعناصر أخرى تمثلها المقاصد والغايات الحِجاجية، وتمثلها الوجهة الحِجاجية وكذا الروابط والعوامل والمبادئ الحِجاجية.

وننتقل إلى فعل لغوي آخر يتضمنه المقطع الثاني: إنه فعل الاستفهام الذي ورد في قول الطبيب للمريض "مم تشتكي؟". وفي معرض تحليل الجوانب الحِجاجية لهذا الفعل، نود أن نشير بدءاً إلى وجوب التمييز بين نوعين من الاستفهام:

1- النوع الذي يمكن تسميته بالاستفهام الحِجاجي (وهذا النوع هو الذي درسه ديكرو وأنسكومبر في أحد فصول كتابهما "الحِجاج في اللغة"، وهو الفصل الذي يحمل عنوان (الاستفهام والحِجاج). وهذا النمط من الاستفهام يستلزم تأويل القول المراد تحليله، انطلاقاً من قيمته

الحِجاجية، على أنه يتجه وجهة القول المنفي، فجملة مثل: "هل أنت حزين؟" قد تكون مرادفة في بعض السياقات لـ"لست حزيناً" أو "لا يمكن أن تكون حزيناً"، وليس هناك بالتالي أي شك أو تردد فيما يتعلق بصدق المحتوى أو كذبه.

2- الاستفهام العادي، والذي يقصد المستفهم من ورائه إلى معرفة صدق الخبر أو كذبه ولكن هذا النوع قد يوظفه المتكلم ويصبح بالتالي عنصراً من عناصر العلاقة الحِجاجية، وسيكون له إذاك بُعد وطابع حجاجي. إن هذا النمط الأخير من الاستفهام هو الذي نجده في النص الشعري ونجده بالضبط في قول الشاعر:

وقال: ومم تشتكي؟
أردت أن أجيب
لكنني
خشيت أن يسمعني الرقيب.

وتتمثل حجاجية الاستفهام هنا، في أن السؤال والجواب (الجواب هنا نصّي)، يشكلان معاً الحجة التي ترد قبل الرابط الحِجاجي "لكن"، والتي تخدم نتيجة من نمط "أستطيع التعبير عما أحس به والبوح بما أشتكي منه".

ومن هنا اكتسب السؤال وإرادة الجواب عنه دلالة حجاجية، وذلك بفعل دخولهما في العلاقة الحِجاجية، ولأن الحجة التي تتقدم الرابط الحِجاجي تشكلت وتكونت منهما، وبعبارة أخرى، فهناك على المستوى النصي سؤال وجواب ووجود الجواب النصي إنما حصل مراعاة للطابع القانوني الملزم الذي للفعل

اللغوي. ولكن هذا الجواب ليس إخبارياً. مع أن السؤال هو عن نمط الاستفهام العادي الذي يقصد من ورائه إلى معرفة صدق الخبر أو كذبه، إنه جوابٌ حجاجي، وهذا لا يمكن الاستغناء عنه وإلاّ فقد النص انسجامه الداخلي، الذي هو انسجام تداولي حجاجي بالأساس، وفقد بالتالي نصيته.

ويمكن أن نحلل الأفعال اللغوية الأخرى التي وردت في القصيدة مثلاً أفعال التمني والإثبات بالطريقة نفسها.

7- الازدواج الحِجاجي في القصيدة:

إن الحِجاج ذو طابع مزدوج في هذا النص، ويمكن دراسته على مستويين اثنين:

المستوى الخارجي: يشكل النص في كليته حجة، ويقدمه الشاعر باعتباره دليلاً يخدم النتيجة التي يقصدها ويسعى إليها، وهي نتيجة قد تكون من نمط "يجب نبذ الظلم ومحاربة الاستبداد" أو "ينبغي توجيه العون إلى المظلومين والمستضعفين من بني البشر أينما كانوا" أو "ينبغي العمل على تحقيق العدل والحرية والمساواة للجميع" إلى غير ذلك من النتائج الممكنة والمحتملة. فالنص في هذا المستوى، يشكل أحد أطراف العلاقة الحِجاجية، في حين تشكل النتيجة المقصودة الطرف الآخر (أي ما ينشده الشاعر من تغيير للاوضاع ومن دفع للإنسان للقيام بذلك). ويمكن الترميز لهذا على الشكل التالي:

النص——] ن

المستوى الداخلي: ويتعلق الأمر هنا بالحِجاج الداخلي في النص،

والحِجاج يتمثل، في هذا المستوى، في كل مكونات النص وأجزائه بحيث نجد في العنوان والمعجم الشعري والصور البلاغية والعلائق الحِجاجية، ويمكن تلخيص هذا الحِجاج أيضاً في علاقة حجاجية مقدرة تحكم كل أجزاء النص، ويربط بين طرفيها رابط حجاجي (مقدر هو الآخر) من نمط "لكن" وتكون العلاقات الحِجاجية المتضمنة في المقاطع الأربعة والمشتملة على "لكن" "تحققات سطحية"، ومظاهر تفصيلية لهذه العلاقة المقدرة.

وكملخص لما سبق، نقول إن الحِجاج في المستوى الخارجي يوجد في المقصدية ومقتضيات الحال والشروط التواصلية والتفاعلية والمقام التخاطبي العام، أما في المستوى الداخلي، فإنه يتمثل في العنوان والحوار والمعجم والروابط والاستعارات والأفعال اللغوية والمبادئ الحِجاجية.

خاتمة:

لقد سعينا إلى إبراز أهمية التحليل الحِجاجي للنصوص، وإلى الكشف عن الوظيفة الإقناعية والحِجاجية للنص الشعري الذي قمنا بدراسته وتحليله. ولعلنا نكون قد أوضحنا، بما فيه الكفاية، أن الشاعر لا يهدف إلى إخبار المتلقي، ولا يقصد إلى تقديم المعلومات والأخبار إليه. فليست وظيفة هذا النص إعلامية إخبارية، وإنما هي وظيفة حجاجية بالأساس.

فالشاعر يسعى إلى التأثير في المتلقي ودفعه إلى اتخاذ موقف ما من القضية التي تشكل موضوع القصيدة ومحورها العام، وعندما نستعمل لفظة "التأثير" أو "الإقناع" هنا، فإنه لا ينبغي أن يفهم من هذا، ذلك المعنى الذي نجده في الدراسات والمقاربات الحِجاجية الكلاسيكية (أعمال أرسطو، برلمان...)، وإنما ينبغي وضعه في الإطار النظري المحدد الذي انطلقنا منه في تحليلنا لهذه القصيدة، وهو نظرية "الحِجاج في اللغة".

إن التأثير والإقناع، تكون لهما، حسب هذا المنظورالجديد، دلالة أشمل ومعنى أعم، وتكون التقنيات الحِجاجية التي نجدها في البلاغة القديمة والحديثة والدراسات المنطقية والفلسفية، عبارة عن حالة خاصة وذلك بالمقارنة مع الإمكانات والوسائل الفنية والهائلة واللامتناهية التي تمدنا بها اللغات الطبيعية. فاللغة بالنسبة لهذه النظرية الحديثة، هي أساساً فعل وسلوك وحجاج، وليست إخباراً ونقلاً للمعلومات.

الهوامش:

1. النص المشار إليه هنا هو قصيدة العلة للشاعر العراقي أحمد مطر، وهومأخوذ من ديوانه "لافتات 2" الصادر بلندن، سنة 1987، والنص مثبت بآخر الفصل.
2. **S. Toulmin: The use of Arguments, Cambridge, 1958.**
3. حازم القرطاجني: منهاج البلغاء. تحقيق محمد الحبيب بلخوجة، تونس 1966.
4. أنظر الفصل الخاص بالاستعارة.
5. محمد مفتاح: دينامية النص، المركز الثقافي العربي، البيضاء 1987، ص:72.
6. محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي، البيضاء 1985، ص:123.
7. مبدأ الانسجام صيغ صياغات مختلفة إن في الشكلانية الروسية أو التيارات البنيوية، وقد وصلت هذه الصياغات إلى أوجها في التداوليات وأنحاء النص ولسانيات الخطاب.
8. أنظر الفصل الخاص بالاستعارة من كتابنا السابق ويمكن الرجوع أيضاً إلى مقال طه عبد الرحمان "الاستعارة بين حساب المنطق ونظرية الحِجاج" ومقال ميشال لوغرن "الاستعارة والحِجاج" تعريب الطاهر وعزين، مجلة المناظرة العدد: 4،1994، لمزيد من المعلومات حول الطابع الحِجاجي للاستعارة.
9. بخصوص نظرية الأفعال اللغوية، يرجع بشكل خاص إلى كتاب أوستين **Austin** **"Seui 1970. Quand dire, c'est faire"**.
   وكتاب سورل: **"Les actes de langage, 1972, Paris, Hermann"**.
10. أنظر أعمال ديكرو حول الفعل اللغوي وطبيعته القانونية وخاصة كتابه: **"Dire et ne pas dire" Paris, 1972**

الملحق رقم:2

العـلة

للشاعر أحمد مطر

قال لي الطبيب

خذ نفساً

فكدت – من فرط اختناقي

بالأسى والقهر– أستجيب

لكنني

خشيت أن يلمحني الرقيب.

وقال: مم تشتكي

أردت أن أجيب

لكنني

خشيت أن يسمعني الرقيب.

وعندما حيرته بصمتي الرهيب

وجه ضوءاً باهراً لمقلتي

حاول رفع هامتي

لكنني خفضتها

ولذت بالنحيب

قلت له: معذرة يا سيدي

الطبيب أود أن أرفع رأسي عالياً

لكنني

أخاف أن.. يحذفه الرقيب!

الفصل الثالث

الخطاب المثلي

من المنطق إلى الحِجاج

مقدمة

قامت مجموعة من التحا ليل الأدبية والسيميائية واللسانية والاجتماعية للأمثال العربية والعامية. وقد بدأ الاهتمام مؤخراً بالجوانب الدلالية والتداولية والقولية، وأنجزت، في هذا الإطار، بعض المحاولات التي درست الأمثال في ضوء بعض المفاهيم التداو لية والمنطقية مثل مفهوم الا ستلزام ومفهوم الفعل اللغوي وغيرهما، ولكنها قليلة. وهذا المجال ما زال بحاجة إلى المزيد من البحوث والدراسات الجادة والجيدة. ويهمنا في بحثنا هذا الوقوف عند الأعمال التي اعتمدت مفهوم الا ستلزام (Implication) بمعناه المنطقي، وخاصة البحث الذي أنجزه اللغوي الفرنسي مارتان ريجال (M. Rigel) لنبين جوانب القصور في تحليله، من خلال تحليل عدد كبير من الأمثال العامية الغربية.

التحليل المنطقي الاستلزامي:

هناك بحوث ودراسات عديدة اعتمدت مفهوم الاستلزام، وخاصة بمعناه الصوري المنطقي، وحاولت توظيفه في دراسة وتحليل الخطابات المثلية. ويتعلق الأمر هنا ببحوث لسانية ومنطقية، أنجز أغلبها في أوربا الشرقية وباللغة الألمانية. فقد نشر كانيو (Z. Kanyo) في سنة 1981كتاباً بعنوان "الأمثال: دراسة الأشكال البسيطة ونشر كريكمان (A. Krikman) سنة 1984 مؤلفاً تحت عنوان "ألف مثل ومثل: حول البنية المنطقية للامثال"، وهناك أيضاً البحث الذي نشره اللساني الفرنسي مارتان ريجال بعنوان (Qui dort dine, ou le pivot implicatif dans les éconcés parémiques, وكل هذه البحوث تندرج في التحليل الاستلزامي المنطقي

الصوري. وقد وردت أيضاً بعض الإشارات عند بوريدان **(C. Buridant)** وسوار **(F. Suard)** في الكتاب الجماعي الذي نشر، في جزأين، بعنوان "غنى الأمثال" ضمن منشورات جامعة ليل **Lille** بفرنسا سنة 1984.

ففي المقدمة التي وضعها بوريدان لهذا الكتاب يشير إلى أن مبدأ الا ستلزام يرد في مقدمة سمات تعيين المثل[1] وهذا الأخير "يقدم، عامة، باعتباره قولاً مستقلاً أو حكياً مصغراً، له تنظيم منطقي - يحكمه أساساً مبدأ الا ستلزام - على شكل بنية - صيغة **Formulaire** محددة بسمات نبرية ودلالية[2].

فهؤلاء الباحثون يقولون إن البنية المنطقية للمثل، بصفة عامة، يمكن إرجاعها إلى مفهوم الاستلزام.

إن تطبيق التحليل الاستلزامي على الأمثال يندرج، بشكل عام، في إطار اهتمام اللسانيين والمناطقة بالأمثال والحكم والأقوال المأثورة، أو ما يقابلها في اللغات الأجنبية: **Dictons adages maximes, proverbe** وغيرها من الأقوال المثلية. إن الخطابات الحكمية والمثلية لا يتعرف عليها فقط انطلاقاً من السمات الأدبية والفنية لبنيتها الخارجية، أو طريقة اشتغالها الخطابي، ولا من الدور الذي تقوم به في الكشف عن الخلفية السوسيوثقافية. وإذا كان الدارسون يجمعون على أن الأمثال هي الوعاء الذي يتضمن خبرات الشعوب وحكمها وتجاربها الحياتية، فإن الحقائق العامة **(Vérités générales)** والمعاني الكلية التي تعبر عنها هذه الأمثال تطابقها وتوازيها تشكيلات دلالية - منطقية خاصة، غالباً ما يتم إرجاعها إلى مبدأ الا ستلزام العام[3].

والاستلزام كما يحدده ستراوسن **(Strawson)** في كتابه الذي ظهر سنة

1952 هو كالتالي: "إذا قلنا إن قولاً يستلزم قولاً آخر، **فمعناه أنه سيكون غير** منسجم ومتسق إثبات القول الأول ونفي القول الثاني" فهناك استلزام، مثلاً، بين القول 1 والقول 2:

1. **إذا كان المطر يهطل، فالأرض مبللة.**
2. **إذا كانت الأرض غير مبللة، فالمطر لا يهطل.**

وكذلك بين 3 و 4:

3. **زيدٌ أعزب.**
4. **زيدٌ غير متزوج.**

ويتعلق الأمر باستلزام منطقي **(Implication Logique)** في الحالة الأولى، وسيكون من التناقض إثبات الجملة (1) ونفي الجملة (2). ويتعلق الأمر، في الحالة الثانية، باستلزامٍ يمكن اختزاله إلى استلزامٍ منطقي. ونستعمل، أحياناً، في اللغة الأنجليزية كلمة **(Entailment)** للإشارة إلى الصنف الثاني من الاستلزام.

ويذهب كل من كانيو، وكريكمان ، وريجال وغيرهم إلى أن الاستلزام الصوري هو الشكل الناسب والملائم للأقوال المثلية. إن الصياغة الأكثر جذرية للفرضية الاستلزامية هي، بدون شك، صياغة كانيو **(Kanyo 1981)** الذي يرجع البنية المنطقية للأقوال المثلية إلى الصورة القضوية الأساسية(4).

5- $\forall$ س، ك س ← ل س

هذه الصيغة الأصلية تجمع بين:

أ- السور الكلي (المؤشر له ب V) الموجود في الموقع الأول، والذي يمتد مجاله إلى مجموع الصيغة القضوية.

ب- الرابط الاستلزامي (الذي نرمز إليه ب ← الذي يشغل الموقع المركزي في الصيغة للقضوية.

وهكذا فإن هذه الصيغة تقيم بين المحمولين الأحاديين "ك س" و "ل س" علاقة استلزام صوري يمكن أن تُقرأ على الشكل التالي:

"بالنسبة لكل شيء س، فإنه صادق أن **س** إذا كانت له الخاصية **ك**، إذن له الخاصية **ل**":

إن الصيغة المنطقية الأولية تقتضي إعداداً مزدوجاً. فهي من جهة، تقتضي حصر مجال المتغير"**س**" في مجموعة من الوحدات المندرجة في نمط معين (مثلاً، صنف الإنسان أو صنف الكلاب كما في المثل التالي) بما أن الفاعل في الأقوال المثلية - كما هو الشأن في كل جمل اللغات الطبيعية - لا يمكن أبداً اعتباره متغيراً صرفاً **(Pure Variable)**. وهكذا فإن المثل التالي:

6- الكلاب التي تنبح لا تعض.

سيتم تحويله إلى صورته المنطقية 8، عبر المرحلتين 6 و 7، وبواسطة استلزام إضافي:

7- بالنسبة لكل الكلاب، فإنه صادق أنها إذا كانت تنبح، إذن هي لا تعض.

8- بالنسبة لكل شيء "س"، فإنه صادق أنه إذا كان "**س**" كلباً، فإنه صادق أن "**س**" إذا كان ينبح، إذن فإنه لا يعض.

9- ∀ س، أ س ← (ب س ← ج س).

ومن جهة أخرى، فإن كانيو يدرج في الصورة الأولية موضوعاً زمنياً "ز" هو

- الآخر بدوره - مسور كلياً (∀ ز).

وهكذا فإن الصورة المعدّلة ستصبح على هذا الشكل:

10- ∀ س، ∀ ز، أس، ز ← (ب، س، ز ← ~ ج س، ز)

والذي يُقرأ كالتالي:

(بالنسبة لكل شيء س، وفي كل زمن ز، فإنه صادق أن "س" إذا كان كلباً، في الزمن ز، فإنه صادق أن "س" إذا كان ينبح، في الزمن ز، إذن س لا يعض، في الزمن ز).

إن الصورة 9 تسمح بتطويرات عديدة (تكثير الموضوعات **Les arguments**، إدماج روابط من درجة أقل من درجة الاستلزام الغالب أو المهيمن **Dominant**) تجعلها قادرة على تمثيل أقوال مثلية ذات محتوى قضوي أكثر تعقيداً. ولكن يمكن، مع ذلك، الاكتفاء بالصورة القاعدية الأساسية باعتبارها تمثيلاً مجرداً لأنماط محددة من الأقوال المثلية البسيطة، وباعتبارها أيضاً حلاً نظرياً لمشكلة التمثيل الميتالساني والذي تتداخل فيه الأسوار والروابط المنطقية وهذا الحل العام هو الذي انتدب مارتان ريجال نفسه لاختباره انطلاقاً من دراسة واقعة تجريبية خاصة: أنموذج الأقوال المثلية التي هي من نمط **(Qui dort dine)** والتي يبدو أن شكلها المعجمي- التركيبي مشاكل **(Isomorphe)** للخطاطة الأولية 5:

5- V س، ك س ← ل س.

ويبدو، للوهلة الأولى ، أن اسم الوصول الأولي **(Qui)** يطابق المتغير "س" المسور كلياً، وأن المركبين الفعليين الأول والثاني يطابقان المحمولين اللذين ينطبقان على المتغير، وتشير المتوالية الموجهة للمركبين الفعليين إلى استلزام الثاني

من قبل الأول.

ولننظر الآن في الأمثال التي درسها Riegel في بحثه لنرى مدى استجابتها للتحليل الاستلزامي. وهذه ا لأمثال - التي تشكل متنه وعددها 12 مثلاً - هي كالتالي:

1. **Qui dort dine.**
2. **Qui aime bien, châtie bien.**
3. **Qui donne aux pauvres, prête a Dieu.**
4. **Qui ne dit mot, consent.**
5. **Qui ne risque rien, n a rien.**
6. **Qui paye ses dettes, s'enrichit.**
7. **Qui va à la chasse, perd sa place.**
8. **Qui veut aller loin, ménage sa voiture.**
9. **Qui veut la fin, veut les moyens.**
10. **Qui vole un œuf, vole un bœuf.**
11. **Qui a bu, boira.**
12. **Qui se sent morveux, se mouche.**

هل هذه الأمثال كلها تقوم على علاقة الاستلزام؟ قبل الإجابة عن هذا السؤال، نشير في البداية، إلى أن هذه الأمثال لا تبدأ بأداة استلزام، ولكن بإسم موصول هو الأداة **(Qui)**. ولا يعني هذا أن المثل لا تكون له بنية استلزامية إلا إذا تصدرته أداة من أدوات الا ستلزام وهي (إذا... إذن) و (من... في) في العربية **(Alors... Si)** في الفرنسية **(Then... if)** في الأنجليزية **(Wenn... dann / So)** في الألمانية، وهلم جراً. إن علاقة الاستلزام يمكن أن نجدها في بنى عديدة ومختلفة، وقد لا نجدها في الوقت نفسه، في جمل يتصدرها رابط استلزامي. إننا إذا نظرنا في البنية الدلالية الداخلية للأمثال السابقة، فإنا نجد أنماطاً عديدة من العلائق الدلالية (استلزام، سببية، احتمال، تلازم، شرط،...إلخ). هذه الأمثال، إذا كان بعضها ذا بنية استلزامية، فإن أغلبها ليس كذلك، وحتى إذا كان المثل استلزامياً،

فإن الاستلزام المتضمن فيه ليس استلزاماً منطقياً حتمياً يعتمد في إبرازه وتمثيله على المنطق الصوري، إن أهم خاصية للاستلزام المنطقي هي خضوعه لقانون عكس النقيض (La loi de contraposition) يبدو ذلك في المثال (1) (إذا كان المطر يهطل فالأرض مبللة) الذي طبق عليه هذا القانون، فأصبحت النتيجة هي (إذا كانت الأرض غير مبللة، فالمطر لا يهطل)، والاستلزام هنا استلزام حتمي وضروري ضرورة منطقية.

إن جل الأمثال السابقة، إن لم نقل كلها، لا يقوم على علاقة استلزام طبيعي وتداولي. وبالأحرى أن يكون استلزاماً صورياً منطقياً. فأغلب هذه الأمثال يتضمن علاقة سببية أو احتمالية، أو يتضمن شرطاً كافياً (Condition suffisante) لا ضرورياً. بل إن نفس المثل قد يُقرأ قراءات عديدة. فإذا أخذنا المثل 2، أي (Qui aime bien, chatie bien). فقد نقول إنه مثل استلزامي، ومعناه أن المحبة الصادقة تستلزم التأديب الحقيقي، ولكن هذا المثل نفسه قد يُقرأ قراءة سببية من نمط "أن التأديب الحقيقي، إنما حدث بسبب المحبة الصادقة"، وقد يُقرأ أيضاً قراءة شرطية. والشيء نفسه يقال عن بقية الأمثال.

ننتقل الآن إلى الأمثال الشعبية المغربية[s] لنختبرها هي الأخرى، ولندرسها بنوع من التفصيل. إن الأمثال العامية التي سندرسها في بحثنا تندرج في نمطين تركيبيين مختلفين: فهناك من جهة الأمثال التي تبدأ بأداة الشرط - الاستلزام "إلى" (أي ما يقابل إن، إذا، Si, if..) مثل (إلى حضر الماء كيترفع التيمم)، وهناك من جهة أخرى الأمثال التي تبدأ باسم موصول "اللي" (Qui، من..) نحو (اللي ما عندو فلوس، كلامو مسوس).

وسنحاول أن نبين من خلال هذين النمطين من الأمثال - وهما الأكثر قابلية للقراءة الاستلزامية - حدود التحليل الاستلزامي وعدم شموليته.

إذا أخذنا الأمثال الآتية:

- **إلى حضر الماء، كيترفع التيمم.**
- **إلى شفت التين، تسنى الطين.**
- **إلى شفت الضباب، عرفت من وراه الطياب.**

هل يمكن أن نقول إنها أمثال استلزامية؟ إننا إذا نظرنا في بنيتها اللغوية، وفي عناصرها ومكوناتها، سنجد أنها تبدأ كلها بأداة استلزام (إلى). فهل نستطيع أن نقول إن بنيتها الدلالية المنطقيه يمكن ردها إلى مفهوم أو علاقة الاستلزام **(Implication)**؟ وبعباره أخرى ، هل يمكن أن نقول إن القضية الأولى (إلى حضر الماء) تستلزم القضية الثانية (كيرفع التيمم) استلزاماً منطقياً حتمياً ضرورياً، أو نقول إن بين القضيتين (إلى شفت التين) أو (تسنى الطين) علاقة استلزامية أو شرطية، فكلما حضر الماء ارتفع إمكان التيمم، أو أن حضور الماء شرط ضروري وكافٍ **"Condition necessaire et suffisante"** وهل سنقول الشيء نفسه بالنسبة للمثل الثاني، أي أن (رؤيه التين) تستلزم القضية (تسنى الطين)، وأن القضية (شفت الضباب) في المثل الثالث تستلزم القضية (عرف من وراه الطياب)؟ وبعبارة أخرى، هل المقدم **(Antecedent)** يستلزم في كل هذه الأمثلة، التالي **(Consequent)** بشكل حتمي ومنطقي؟ هل هو شرط لحضوره ووجوده. إن الاستلزام إذا كان منطقياً صورياً، فإنه يقبل أن ينطبق عليه قانون عكس النقيض **(La loi de contraposition)** فلو أخذنا المثال التالي:

- **إذا كانت الشمس طالعة فالنهار موجود.**

فإننا نجد أنه يقبل أن ينطبق عليه هذا القانون، ومن ثم يمكن أن نقول:

- **إذا لم يكن النهار موجوداً، فليست الشمس طالعة.**

وعكس النقيض هو جعل نقيض المحمول موضوعاً ونقيض الموضوع محمولاً أو هو جعل نقيض الجزء الثاني جزءاً أولاً، ونقيض الجزء الأول ثانياً مع بقاء الكيف والصدق بحالهما. والسؤال المطروح هو: هل يمكن أن نجري عملية عكس النقيض على الأمثال السابقة، فتصبح على الشكل التالي:

* **إلى ما ترفع التيمم ما كيحضرش الماء.**
* **إلى ما تسنيتي الطين ما تشوفش التين.**
* **إلى ما عرفت أن من وراه الطياب، ما تشوفش الضباب.**

إننا نلاحظ أن هذه الأمثلة لاحنة ومردودة، ولا يقبلها أحد. ومن هنا نخلص إلى أن العلاقة الدلالية المنطقية الواردة في هذه الأمثال ليست استلزاماً صورياً منطقياً. وهنا يُطرح سؤال آخر: هل تندرج هذه العلاقة في أنواع الاستلزام الأخرى مثل الاستلزام الدلالي أو العرفي أو التداولي؟ إن الجواب الذي سنقدمه لن يكون إلا بالسلب. فالقضية الأولى، في هذه الأمثال، لا تستلزم القضية الثانية بتاتاً، والعلاقة الموجودة بينهما لا تندرج في أي نوع من أنواع الاستلزام. إن العلاقة التي نُجدها في المثل (إلى حضر الماء، كيترفع التيمم) هي علاقة سببية، فامتناع إمكان التيمم يحصل بسبب وجود الماء، فالعلاقة إذن علاقة سبب بمسبب أو علة بمعلول، وقد يقبل هذا المثل قراءات أخرى. أما إذا أخذنا المثل الثاني (إلى شفت التين، تسنى الطين)، فالعلاقة هنا أيضاً ليست استلزامية ولا شرطية، وليست علاقة سببية، ولكنها قد تكون علاقة استنتاج احتمالي. فوقوع الحدث المتضمن في الجزء

الأول مـن المثـل يجعلنـا نتوقـع حصـول الحـدث المتضـمن في الجـزء الثـاني منـه، وبعبـارة أخرى فإنه يجعلنا نستنتج احتمال وقوعه وإمكـان حدوثه، والشيء نفسه ينطبق على المثل الثالث (إلى شفت الضباب، عرف من وراه الطيـاب).

إن العلائق الدلالية التي نجدها في الأمثـال العاميـة التي تبدأ بـالأداة "إلى" (If, Si...) عديدة ومتنوعة، فقد تكون علاقة سببية، ونجدها مثلاً في الأمثـال الآتيـة:

- **إلى ما نويت ما صليتي.**
- **إلى حضر الماء كيترفع التيمم.**

وقد تكـون علاقـة استنتـاجية (Deductive) ولكـن الاستـنتـاج هنـا استـنتـاج احتمالي، لا حتمي ولا ضروري. وهو ما يتجلى لنا في هذه الأمثـال:

- **إلى شفت الشاب شاب، أعرف سلعة قرن جاب.**
- **إلى شفت جوج معاشرين، أعرف الصبر على واحد.**
- **إلى شفت المزلوط غادي رزيان، أعرف مول الفلوس مسخرو.**

وسنجد علائق دلالية أو منطقية أخرى في أمثـال أخرى من قبيل:

- **إلى خرجت الليالي، لا تشري ثوب غالي.**
- **إلى هاج البحر كيعيط للشتاء.**
- **إلى شفتيهم ضحكوا ضحك معاهم، ما عرفت لا عليك ولا عليهم.**
- **إلى طلقتيها، لا توريها دار أباها.**
- **إلى جالستي جالس الكبار، وإلى ناسبتي ناسب على قدك.**
- **إلى ولوا أوراق الكرمة كد ودنين الفار، ديك الساعة كيتقاد الليل مع النهار.**

أما إذا أخذنا الأمثال التي تبدأ بالأداة "اللي" **(Qui)** وهي التي درسها اللغوي الفرنسي مارتان ريجال **(M. Rigeil)** باعتبارها تقوم على علاقة استلزامية صورية، فإنه ينطبق عليها ما قلناه بشأن الأمثال السابقة، فلن نجد إلاّ عدداً محصوراً جداً من هذه الأمثال الذي يُقبل القراءة الاستلزامية. فلو أخذنا المثل التالي:

- اللي كلى من دجاج الناس، يسمن ديالو.

فيمكن أن نقول إنه يقوم على علاقة استلزامية، وبعبارة أخرى فهذا المثل يتضمن استلزاماً معيناً، ولكنه ليس استلزاماً صورياً منطقياً حتمياً، بل هو استلزام تداولي طبيعي. ولو شرحنا هذا المثل بعبارات شارحة **(Paraphrases)** لقلنا (من أكل دجاج الناس، عليه أو يلزمه أو ينبغي أن يأكل الناس دجاجه) إلى غير ذلك من التعابير التي تشير إلى هذه العلاقة الاستلزامية:

وقد نقول الشيء، نفسه عن المثل التالي:

- اللي كيشطح ما كيدرك وجهو

فالمقدم يستلزم التالي، ولكن ليس بشكل حتمي وضروري. ومع ذلك فهذان المثلان يقبلان قراءات أخرى غير استلزامية إذا استُعملا في سياقات لا تستدعي علاقة الاستلزام. وفي المقابل، فإننا سنجد كثيراً من الأمثال التي تتضمن علاقة سببية نحو:

- اللي كيربي أولادو، كيناكي أعداه.

- اللي ما عند فلوس، كلامو مسوس.

- اللي ادى من غير قبيلتو، تهرس من ركبتو.

- اللي فاتك بليلة، فاتك بحيلة.

- **اللي خلص دينو شبع.**

- **اللي كوّنها الله تكون.**

وسنجد أمثالاً تقوم على علاقة شرطية **(Condition)** مثل:

- **اللي بغى العسل، يصبر لقريص النحل.**

أو على علاقة استنتاجية احتمالية نحو:

- **اللي عرف ذنبو يستغفر لربو.**

- **اللي خفاك أصلو شوف فعلو.**

- **اللي ما قرا براتو وطيب عشاتو وخيط كساتو وذبح شاتو، موتو خير من حياتو.**

وقد تكون هذه العلاقة إثباتية **(Assertive)** أو قد تندرج في أنماط أخرى من العلائق الدلالية المنطقية كما في الأمثال التالية:

- **اللي كال الخير بحال اللي عملو.**

- **اللي تزوج ببنت عمو بحال اللي عيد من غنمو.**

- **اللي عند الله ماشي بعيد.**

- **اللي دركك بخيط، دركو بحيط.**

بعد هذا التحليل المقتضب لجملة من الأمثال الشعبية، وبعد هذا الاختبار للفرضية الاستلزامية، يمكن تقديم الملاحظات التالية:

1- لا تبدأ الأمثال كلها بأداه الشرط أو الاستلزام، بل إن بُناها النحوية والتركيبية منوّعة بشكل كبير جداً، فقد تبدأ الأمثال بأداة نفي أو تشبيه أو إسم موصول، أو تبدأ بأحد أجزاء الكلام المعروفة.

2- حتى الأمثال التي تبدأ بأداة الشرط والاستلزام، فإنها لا تفيد دائماً وأبداً

الشرط والاستلزام. فقد بينت الدراسات الحديثة التي قام بها اللسانيون وفلاسفة اللغة أن أدوات الاستلزام في اللغات الطبيعية (إن، إذا، If, Si...) تستعمل استعمالات عديدة، وأنها بالتالي تفيد معاني ودلالات مختلفة. ومعنى هذا أن القراءة الاستلزامية ليست إلا إحدى القراءات الممكنة لهذه الأدوات، ونفس الشيء يقال عن الأمثال المتضمنة لأداة استلزام.

3- مفهوم الاستلزام لا يمكن إلاّ من تحليل عدد محدود جداً من الأمثال التي تقوم بنيتها الداخلية على علاقة استلزامية.

4- إن القراءة الاستلزامية ليست مقصورة على الأمثال المتضمنة لأداة استلزامية. فهناك أنماط أخرى من الأمثال تفيد معنى الاستلزام، وهذا بحسب بنيتها التركيبية أو بحسب السياق الذي استعملت فيه. منها مثلاً الأمثال التي تبدأ باسم موصول (اللي - ...Qui) وهي التي درسها (M. Riegel) في بحثه.

5- الذين تبنوا التحليل الاستلزامي المنطقي الصوري، ينطلقون من تصور مغلوط لعلاقة اللغة بالمنطق، فهؤلاء يقولون بأهمية التحليل المنطقي الصوري للغات الطبيعية، ولا نريد أن نخوض في هذه المسألة، فقد كتب عنها الشيء الكثير. وهذا التصور الذي يقوم على تطبيق النماذج المنطقية بمختلف أنماطها على اللغات البشرية قد تم التخلي عنه منذ أمد بعيد، وقد بيّن اللسانيون والمناطقة وفلاسفة اللغة عدم إمكان اعتماده، وبينوا كذلك الاختلاف الكبير بين خصائص اللغات الطبيعية وخصائص

اللغات المنطقية الصورية، بل إنهم اقترحوا في هذا الإطار أنماطاً عديدة لما يسمى "المنطق" الطبيعي (Logique naturelle) أو "منطق اللغة" (Logique du langage). ويمكن الإشارة هنا إلى أعمال جورج لايكوف (G. Lakoff) وجون بليز غريز (J. B. Grize) وجان ماري بو ريل (J. M. Borel) وأزفالد ديكرو (O. Ducrot) وغيرهم. ولهذا فإن الذين يرجعون البنية الدلالية للاقوال المثلية إلى مفهوم الا ستلزام، إنما يقصدون الاستلزام الصوري المنطقي، لا الاستلزام التداولي أو الطبيعي الذي نجده في اللغات الطبيعية.

6- إن مارتان ريجال كان يتبنى في بحثه موقف كانيو (Kanyo) وكريكمان (Krikmann) وبوريدان... إلخ، وعندما أراد أن يدرس الأمثال، فقد اقتصر على نموذج واحد هو الأمثال التي تبدأ بالاسم الموصول (Qui) ولم يدرس بقية الأمثال التي تختلف عن تلك التي درسها من الناحية التركيبية والدلالية، والمتن الذي اعتمده فقير جداً، ولا يكفي لبيان مدى إجرائية التحليل الاستلزامي في دراسة الخطابات المثلية.. واستخراج ما تتضمنه هذه الأخيرة من تشكيلات دلالية منطقية.

وإذا كانت الأمثال التي درسها الباحث، والتي تبدأ بالاسم الموصول، بل والأمثال التي تبدأ بأداة الا ستلزام، لا ينطبق التحليل الاستلزامي إلا على بعضها، بل ويمكن أن نقول إنه لا ينطبق إلا على جزء يسير منها، فكيف يمكن أن يفيدنا هذا التحليل في دراسة الأمثال الأخرى؟ وما هي حدود إجرائيته؟ وما مدى مشروعيته؟.

وهل يرقى هذا التحليل إلى أن يكون تحليلاً شاملاً ومستوعباً يمكن تطبيقه على عدد كبير من الأقوال والجمل والخطابات؟ وهل معطيات اللغات الطبيعية تستجيب للتحاليل المنطقية والرياضية الصورية؟ لقد كان هذا البحث يهدف إلى الإجابة عن بعض هذه الأسئلة ولو بشكل نسبي، وذلك من خلال إظهار عدم ملاءمة النماذج الصورية المنطقية للغات الطبيعية، ومن خلال إظهار تفاعل وترابط الجوانب المعجمية والتركيبية والدلالية والتداولية.

- نحو تحليل حجاجي:

بعد أن بيّنا بعض جوانب القصور في التحليل المنطقي الاستلزامي الذي يعتمد مفهوم الاستلزام المنطقي (Implication)، والذي لا يمكِنُنا إلا من تحليل عدد محدود جداً من الأمثال التي تقوم بنيتها الداخلية على علاقة استلزامية، فإننا سنقوم بتطبيق نموذج آخر، هذا النموذج يندرج فيما يدعى بمنطق اللغة الطبيعية، ثم إنه يسمح ويمكن من وصف جل الأقوال المثلية، إذ لم يكن كلها. يتعلق الأمر هنا بالنظرية الحِجاجية. فالعلاقة الحِجاجية مفهوم عام وشامل يستوعب العلائق الشرطية والاستلزامية والعلية والاستنتاجية والتبريرية والتفسيرية والسببية وغيرها، وإيجاد علاقة حجاجية ما، شيء ممكن بالنسبة لأي قول مثلي. سواء أتعلق الأمر بالعلاقة الحِجاجية داخل المثل، أي انطلاقاً من بنيته الداخلية، أم تعلق الأمر بعلاقة حجاجية خارجية يدرج فيها المثل باعتباره أحد عناصرها ومكوناتها أو أحد طرفيها (الحجة أو النتيجة)، وهناك حالة ثالثة لا يدرج فيها المثل في أحد المنطقين السابقين، وهي التي يقوم فيها المثل بدور المبدأ الحِجاجي الإقناعي (Topos)، أي يتم استدعاؤه في الحوار، أو توظيفه في الخطاب، أو يتم

الاستشهاد به أثناء الجدال والسجال والمناظرة باعتباره مسلمة استدلالية منطقية حجاجية، وباعتباره ضامناً (Garant) يضمن الربط والتعالق بين المتغيرين الحِجاجيين (Variables argumentatives)، أي بين النتيجة التي نهدف إليها، والحجة التي تخدمها وتؤدي إليها.

- المثل مبدأ حجاجي:

إذا كانت المبادئ الحِجاجية تتمثل في مجموعة من الأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة بشرية معينة، وكانت تتصف بالعمومية والتدرجية والنسبية[6] فإننا نعتقد أن أغلب الأمثال يبدو متماثلاً مع هذه المبادئ، فهما يشتركان في خاصية العمومية والخصائص الأخرى، وقد سبق أن أشرنا إلى أن الأمثال تتضمن خبرات الشعوب وحكمها وخلاصة تجاربها الحياتية، ولذا نجد أن مضامينها ومحتوياتها تتمثل في مجموعة من الحقائق العامة والمعاني الكلية. وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن لها بنية دلالية منطقية من قبيل: (إذا أ، فإن ب)[7]، وهنا وجه التماثل مع المبادئ الحِجاجية وخاصة إذا اعتمدنا الصياغة الاستلزامية التي اقترحها براندوني، ثم إن المبادئ تتصف بالعموم والشمولية والكلية والتدرج.

فإذا أخذنا الأمثال العامية التالية:

- **خدم تيدم**
- **لبس قدك يواتيك**
- **زرب تعطل**

فكل هذه الأمثال تنطبق عليها الأوصاف السالفة الذكر، فهي حقائق عامة مسلم بها من قبل الجميع، وهي أيضاً تقيم علاقة تدرجية بين محمولين. فبقدر تحقق المقدم، يتحقق التالي، والعكس صحيح. ففي المثل الأول، نكتشف المبدأ الحِجاجي التدرجي التالي:

- **بقدرما يتحرك الإنسان ويسعى في الأرض، يحصل على الرزق.**

إذن لا بد من السعي والأخذ بالأسباب للحصول على العيش، وبمقدار السعي والحركة يكون مقدار الرزق المحصل عليه. ونفس الشيء ينطبق على الأمثال "خدم تيدم" و"لبس قدك يواتيك" و"زرب تعطل".

ولهذا اعتبرت الأقوال السائرة والأبيات الشعرية التي لها هذه الوظيفة التداولية والاستدلالية، ولها هذه البنية التناسبية التدريجية، والتي تعبر عن الحقائق العامة والمسلمات الكلية أمثالاً، ومن ذلك قول االشاعر المتنبي:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتي على قدر الكرام المكارم

فهناك الأمثال في القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر والنثر، في مختلف أنواع النصوص والخطابات وفي كل اللغات البشرية، وهي، عموماً، ذات بنية قياسية تناسبية تدرجية.

وإذا كانت الأمثال السابقة ترتبط بمجال القيم والأخلاق. فهي تدعو إلى السعي والعمل والرحمة والتوسط والاعتدال، فإننا نجد أمثالاً أخرى ترتبط بمجال الطبيعة والفلاحة، وتتضمن الخبرات التى جمعها الإنسان، منذ القديم، والمتعلقة بهذا الموضوع، ومنها:

- **إلى هاج البحر، كيعيط للشاء.**
- **إلى شفت الضباب، عرف من وراه الطياب.**
- **إلى شفت التين، تسنى الطين.**
- **إلى ولو أوراق الكرمة كد ودنين الفار، ديك الساعة كيتقاد الليل مع النهار.**

فإذا أخذنا المثل الأول، فسنجده متضمناً لمبدأ استدلالي هو:

- **بقدر هيجان البحر، يكون احتمال نزول المطر.**

وسنجد في المثل الثاني مبدأ آخر نصوغه كالتالي:

- **بقدر ما يكون هناك ضباب وغيوم في السماء، يكون احتمال نزول المطر.**

وهناك أمثال أخرى ترتبط بمجالات أخرى لها علاقة بالخبرة والتجارب والنصح والسلوك نحو:

- **إلى خرجت الليالي، لا تشري ثوب غالي.**
- **إلى شفت الشاب شاب، اعرف سلعة قرن جاب.**
- **إلى شفت جوج معاشرين، اعرف الصبر على واحد.**
- **إلى طلقتيها لا توريها دار أباها.**

فنحن نلاحظ أن الأمثال تتضمن مبادئ حجاجية عميقة، وأن إيرادها في الخطاب والاستشهاد بها يكون لغايات إقناعية استدلالية. ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن الأمثال ليست كلها مبادئ حجاجية، وإن كان القسم الأعظم منها ينطبق عليه هذا الوصف، فهناك أمثال توظف باعتبارها حججاً ودالة تخدم نتيجة معينة.

وننتقل الآن إلى نقطة أخرى ونطرح السؤال التالي: **كيف يشتغل المثل؟**

وكيف يتم توظيفه في الحوار والخطاب؟ فنحن نعلم أن المثل الشعبي - وكذا الفصيح - يوظف في الحوارات اليومية الشفوية بشكل كبير جداً، ويوظف أحياناً في النصوص العربية الفصيحة، وخاصة عند الذين يوظفون اللغة العامية واليومية في نصوصهم القصصية والروائية والمسرحية والصحفية والسياسية.

وهناك تقنيات عديدة تعتمد في توظيف المثل وإدراجه في الخطاب، يمكن أن نشير إلى بعضها على سبيل التمثيل لا الحصر:

1. **إعتماد الروابط والأدوات، سواء أكانت من الفصحى أم من العامية: إذن، لكن، إيوا، راه... إلخ.**
2. **إستعمال بعض العبارات من قبيل "كما يقول المثل"...**
3. **المجاورة** *(La juxtaposition)* .

ويمكن أن نستشهد بالحوار التالي الذي دار بين الشخص (أ) والشخص (ب):

1. **فلان ما داير والو في البيع والشراء.**
2. **حيث ما كيزعمش، ما كيديها غير زعيم ولا كريم.**

نلاحظ أن المخاطب يوظف المثل الشعبي "ما يديها غير زعيم ولا كريم الذي يتضمن مبدأ حجاجياً من نمط "بقدر ما يكون الإنسان جريئاً ومقداماً، ينجح في أعماله ويحقق طموحاته وغاياته". فعلى الشخص المتحدث عنه أن يكون جريئاً وأن يستغل كل الفرص، ويجرب كل الإمكانات لينجح. فالشخص المقدام الجريء هو من ينجح في النهاية كما يقول المثل.

ولكن الذي ينبغي أن يشار إليه هنا هو أن هناك أشكالاً عديدة من

التوظيف والاستعمال، فالمثل قد يدرج في الخطاب، فيتم ربطه بما قبله وما بعده برابط معيّن أو بدونه، وقد يستدعى المثل بخصوص مشهد طبيعي ما، أو بخصوص حادثة معينة. فقد يشاهد شخص ما حادثة في الطريق، فيصدر عنه الخطاب التالي:

- **إيوا ازرب تعطل.**

وفي سياق آخر قد يقول:

- **هذي هي الفرصة أضرب الحديد ما حدو سخون.**

وهنا سيتم الربط بين ما هو لغوي وما هو أيقوني أو سلوكي، وسيتم الربط كذلك بين الحجج والنتائج، وهذه الأخيرة قد تكون لغوية أو غير لغوية. والذي يهمنا هنا هو أن نشير إلى أن الأمثال الموظفة في الخطابات السابقة كانت تقوم بدور المبدأ الاستدلالي الحِجاجي الذي يضمن الربط بين الحجة أو الدليل والنتيجة. ويمكن أن نستشهد بحوار آخر:

1. **ماذا سأعمل؟ فلان لا يريد أن يعطيني نقودي.**
2. **إضغط عليه، فهو من النوع الذي ينطبق عليه المثل: "بحال الكمون، إِلى ما تحك ما يعطي الريحة".**

ومن الأمثال التي يكن اعتبارها مبادئ حجاجية، نذكر أيضاً:

- **اللي كيربي أولادو، كيناكي أعداه.**
- **اللي بغى العسل، يصبر لقريص النحل.**
- **اللي فاتك بليلة فاتك بحيلة.**
- **اللي كلى دجاج الناس، يسمن اديالو.**

هناك سياقات نضمر فيها الحجة والنتيجة معاً، ونصرح بدلهما بالمبدأ

الحِجاجي، و يحصل التواصل والتفاهم. فإذا ما أضفنا المبدأ المصرح به إلى السياق التخاطبي التداولي، أمكننا استنباط النتيجة المقصودة والدليل الموظف لصالحها، نجد هذا في الحوارات التي أوردناها سابقاً.

المثل حجة جاهزة

لقد أشرنا من قبل إلى أن الأمثال ليست كلها مبادئ حجاجية، والسؤال الذي يفرض نفسه بهذا الصدد هو الآتي: عندما نوظف مثلاً لا يمكن اعتباره مبدأً حجاجياً في الخطاب، فما هو وضعه؟ وما هي وظيفته؟ نعتقد أنه يوظّف باعتباره حجة، ولكنه ليس حجة عادية، إنه حجة قوية وحجة جاهزة، مثله مثل الشواهد وأقوال العلماء والحكماء، وهذه الحجج لها قوة حجاجية عالية، وبعبارة أخرى سندرجها فيما يعرف **(Argument d'autorité)**، فعندما نقول مثلاً:

- **لا تلومني، سبحان اللي ما يسهى ولا ينام.**
- **أعذرن، حتى واحد ما أخلاق معلم.**
- **أقضي الغرض، أضرب لحديد ما حدو سخون.**

فهذه الأمثال لا يمكن اعتبارها مبادئ حجاجية، فخاصية التدرج والتناسب التي هي من أهم خصائصها، والتي يعبر عنها بصيغة من قبيل "بقدر ما يكون... يكون..." أو باعتماد قيمتي "زائد" و"ناقص": **(...Plus ou moins... plus ou moins)** مفتقدة هنا، ولهذا فإن الأمثال السابقة وظفت باعتبارها حججاً قوية تخدم نتيجة معينة. ولنأخذ الحوار التالي:

1. **أش كيدير فلان؟**
2. **كيفصل الزناقي ويخيط الدروبة.**

فالنتيجة المضمرة المقصورة هي إنه عاطل أو لا يقوم بأي عمل، ونجد هذا في النموذج الآتي:

1. **هل أحضرت ما طلبته منك؟**
2. **آه، سبحان اللي ما يسهى ولا ينام.**

فالنتيجة هنا أيضاً مضمرة، وهي من قبيل "لم أحضره"، أو "إني نسيت" أو "أعذرني" إلى غير ذلك من النتائج الممكنة والمحتملة.

وإذا علمنا أن بعض الأمثال له قصة تُروى ويُستشهد بها مثل ما فعله الميداني في كتابه "مجمع الأمثال" عندما درس عدداً كبيراً من الأمثال من قبيل "جزاء سنمار". وحاول إبراز القصص المرتبطة بها، فإن بعض الأمثال الشعبية العامية تكون في الأصل قصة أو حادثة وقعت في التاريخ، وهي مضرب المثل، ولذا يستشهد به من أجل أخذ العبرة نحو:

- **طاحت الصومعة، علقوا الحجام.**

ومعلوم أن الحجج تتفاوت من حيث قوتها الحِجاجية، فهناك أنماط ومراتب من الحجج والأدلة. فهناك الحجج الضعيفة والحجج العادية، وهناك أيضاً الحجج القوية، ويندرج في هذا النمط الحجج الجاهزة. فالاستعارات والشواهد والأمثال والحجج التي ترد بعد روابط من قبيل "لكن" و"بل" و"حتى" وغيرها، تعتبر أدلة لها قوة حجاجية عالية بحيث لا يمكن دحضها وإبطالها بسهولة، علماً بأن السياق هو الذي يقدم عنصراً ما من العناصر باعتباره حجة أو

نتيجة، أي هو من يحدد وضعه، وهو الذي يمنحه قوة حجاجية معينة. فهناك فرق بين أن تقول لشخص ما "إنك كريم" وأن تقول له في معرض المدح بالكرم "أنت بحر" والبون شاسعٌ أيضاً بين مدح إنسانٍ ما بالشجاعة والبطولة وبين وصفه ونعته بالأسدية.

يتبين لنا مما تقدم أن هناك عدداً كبيراً من الأمثال لا يمكن اعتباره مبادئ استدلالية لأنه لا يقيم علاقة تدرجية تناسبية بين محمولين أو بين سلمين حجاجيين، ولكن يوظّف باعتباره حججاً جاهزة وقوية.

العلاقة الحِجاجية

بعد أن بيّنا ما يتعلق بالمثل باعتباره مبدأً حجاجياً استدلالياً، أو باعتباره حجة جاهزة، نريد أن نلقي بعض الأضواء على البنية الداخلية للمثل. لقد أشرنا في القسم الأول من هذا الفصل، إلى أن بعض الدارسين اعتمدوا مفهوم الاستلزام بمعناه المنطقي الصوري والذي نجده في صيغة قضوية من قبيل(8):

∀ س، ك س ← ل س

واعتبروا أن بنية المثل تحكمها العلاقة الاستلزامية، ومن هؤلاء كانيو وكريكمان ومارتان ريجال وغيرهم، وقد بيّنا بعض جوانب القصور والنقص في هذا التحليل الاستلزامي المنطقي، ولذا فإننا نفضل استعمال مفهوم "العلاقة الحِجاجية" لأنه مفهوم مرن ونسبي واحتمالي، ويشمل عدداً كبيراً من العلائق الدلالية المنطقية مثل السببية والشرط والاستنتاج والتبرير والتفسير، وليست كل الأمثال تتضمن بنيتها الداخلية علاقة حجاجية ما، ومع ذلك فالقسم الأعظم منها

يمكن أن نستشف فيه هذه العلاقة، ولنأخذ الأمثال التالية:

- **عام الزرزور، أحفر وغرق المطمور.**
- **عام البلوط مزلوط.**
- **عام القطا، هز أولادك لا تبطا.**

فيمكن اعتبار ظهور طائر الزرزور بكثرة دليلاً وحجة على أن السنة لن تكون مجدبة، بل سيكون هناك مطر وغيث وخير عميم. والحجة هنا احتمالية لا حتمية إلزامية، والذي جعل هذا العنصر يقدم على أنه حجة ودليل لصالح النتيجة المتضمنة في الجزء الثاني من المثل هي الخبرات التي تراكمت لدى الإنسان - والفلاح بوجه خاص - منذ مئات السنين. وأما ظهور طائر القطا وانتشاره، فقد يستفاد منه أن العام قد يكون عام قحط وجدب.

والعلاقة الحِجاجية الواردة في هذين المثلين علاقة استنتاجية، ولا يمكن اعتبارها شرطية أو استلزامية أو سببية. ونجد علاقة الاستنتاج الاحتمالي هذه أيضاً في الأمثال الأخرى مثل:

- **إللي شفت المزلوط غادي زربان. أعرف مول الفلوس مسخرو.**
- **إللي اعرف ذنبو، يستغفر لربو.**
- **العزري إلى عواج، أعرف بغى الزواج.**

فكل مثل من هذه الأمثال يتضحن في قسمه الأول حجة تخدم النتيجة الواردة في قسمه الثاني بحيث نمثل لهذا بالشكل التالي:

اعوجاج الشاب ——] رغبته في الزواج

(ح) (ن)

فاعوجاج الشاب وعدم استقراره دليل على أنه ينقصه شيء، قد يكون هو الزواج، وسرعة الفقير في مشيه دليل على أن هناك غاية يسعى إليها، وقد يستفيد منها مالاً، وإلا لِمَ السرعة؟ ولِمَ العجلة؟ومعرفة الذنب تستلزم الاستغفار وتدعو إليه.

وهناك أمثال أخرى قد نجد فيها علاقة حجاجية أخرى غير علاقة الاستنتاج الواردة في النماذج السابقة، قد تكون علاقة العليّة والسببيّة كما في الأمثال التالية:

- **المال كيجهد الفار.**
- **بالمال كيرجعو الشمايت رجال.**
- **القمر بفلوسو، جيب ذاك الراس نبوسو.**
- **إللي اضحك فرح قلبوا، واللي بكى عمى عينيه.**
- **اللي عندو البنات، وجهو في التراب.**
- **اللي ما جال، ما عرف بحق الرجال.**

فالعلاقة الحِجاجية الواردة في هذه الأمثال هي-من النمط العلي السببي، هي علاقة سبب بمسبب ، فبالنظر إلى كونها تربط بين حجة ونتيجة فهي علاقة حجاجية، وبالنظر إلى أنها تربط بين سبب ومسبب أو علة ومعلول، فهي علاقة سببية. وقد تتضمن الأمثال أيضاً علاقة شرطية أو استلزامية:

- **اللي بغى العسل، يصبر لقريص النحل.**
- **اللي كلى دجاج الناس، يسمن ديالو.**
- **اللي كيشطح ما كيدرقش وجهو.**

وقد تكون العلاقة القائمة بين الحجة والنتيجة إثباتية أو تبريرية أو تفسيرية. ولا بد هنا من مراعاة الأداة أو الرابط الذي يبدأ به المثل، أو يرد داخله، فقد يكون رابطاً من روابه الشرط أو الا ستلزام أو الاستدراك أو التمثيل أو يكون اسماً موصولاً. ويمكن التمثيل لهذا بالنماذج التالية:

- **بحال إلى كيدخل اليهودي للجامع.**
- **بحال الكسكاس، ملي كيقوى رزقو، تيتسدو عينيه.**
- **حتى المش عندو زعافو.**
- **صام حتى أعياء وأفطر على جرادة.**
- **إلى حضر الماء، كيترفع التيمم.**
- **إللي تزمج ببنت عمو، بحال اللي عيّد من غنمو.**

فالأمثال التي ترد فيها لفظة "بحال" نجدها تتضمن قياساً تمثيلياً، أو تمثيلاً أو مقايسةً **(Analogie)**. ومصطلح التمثيل يدل على التشابه بين شيئين (أو مجموعتين من الأشياء) في صفات أو علاقات معينة[٥]. وقياس التمثيل أحد أقدم أشكال القياسات والاستدلالات المميزة للتفكير البشري منذ المراحل الأولى من تطوره. والتمثيل، في هذه الأمثال، يخدم بالطبع الغايات الحِجاجية المقصودة.

نريد أن ننتقل الآن إلى عنصر آخر يبين لنا الطبيعة الحِجاجية للأقوال المثلية، ويؤكد وظائفها وغاياتها الإقناعية والاستدلالية. يتمثل هذا العنصر في أن اللجوء إلى الأمثال لا يكون من أجل ما تضمنته من معلومات، المقصد هنا ليس هو الإعلام والإخبار، فالأمثال هي مجموعة من المعارف القالبية المشتركة بين أفراد مجموعة بشرية ولغوية معينة، والكل يسلم بها، ولكن ما قلناه عن الحجج، من

حيث النسبية وإمكان القبول والرفض، نقوله عن المبادئ الاستدلالية الحِجاجية، فهذ الأخيرة يمكن إبطال مفعولها، ورفض اعتمادها بدعوى عدم ورودها، وعدم ملاءمتها للسياق، أو باستعمال مبدأ حجاجي مضاد. فالمثل يصلح إذن لأن يكون إطاراً للحجاج والاستدلال، وضامناً لتحققه وتناميه بشكل طبيعي. وقد أشار جان كلود أنسكومبر(10) إلى أن المثل لا يمكن أن يكون حجة عادية ترتبط بسياق خاص، ونحن نوافقه في هذا إلا أنه لم يبيّن لنا إلا حالة من حالات عديدة، أو كيفية واحدة من كيفيات اشتغال الخطاب المثلي، وهي التي يكون فيها مبدأ حجاجياً. أما نحن فقد سعينا إلى إبراز مظاهر عديدة لاشتغال القول المثلي من وجهة نظر حجاجية. ثم إننا نرى أن المثل، بالإضافة إلى اشتغاله وتشغيله باعتباره مبدأً استدلالياً، ينبغي أن يوضع في نفس الخانة التي تدرج فيها الشواهد، أي باعتباره حجة جاهزة صناعية أو حجة قالبية، وأن نضعه ضمن "حجة السلطة" (Argument d'autorité)، ولن نعتبره أبداً حجة خاصة وعادية. فكون السيارة أمام البيت أو كون النوافذ مفتوحة يمكن أن يُنظر إليه على أنه دليل على وجود صاحب البيت في الداخل، ولكن الأمر يتعلق هنا بحجج عادية واحتمالية، بل وقد تكون أحياناً حججاً ضعيفة. ومفهوم الحِجاج، بصفة عامة، مفهوم نسبي ومرن واحتمالي، ولذا فإن الأمثال، باعتبارها مسلمات استدلالية حجاجية أو باعتبارها حججاً جاهزة قوية، تتيح لنا القيام باستدلالات طبيعية وتداولية، ولا يمكن أن يكون لهذه الأخيرة أي طابع حتمي أو استلزامي. لقد عملنا على إبراز بعض المظاهر الحِجاجية للمثل من خلال تحليل بنيته الدلالية المنطقية، ومن خلال إظهار طرق وكيفيات اشتغاله في الخطاب، ولا ندّعي بعد هذا أننا استوفينا

دراسة جوانبه الدلالية والتداولية والمنطقية والحِجاجية، وحسبنا أننا أثرنا قضايا وإشكالات عديدة، فما اكتشفناه في دراستنا للأمثال من تنوع في البنى، وتعدد في الوظائف يبين، بكل وضوح وقوة، نجاعة التحليل الحِجاجي من جهة، ويؤكد، من جهة ثانية، الطبيعة الحِجاجية للخطاب الطبيعي، وللغات البشرية برمتها.

الهوامش:

1. أنظر المقدمة التي وضعها كلود بوريدان (C. Buridant) لكتاب: Richesses du proverbe, volume2: Typologies et fonction, Université de Lille 3, P.U.L, page: 2.
2. مارتان ريجال (M. Rigel): "Qui dort dine, ou le pivot implicatif dans les éconcés parémiques", in Rigel M. et Tamba 1(eds): page: 85.
3. اعتمدنا هذا التلخيص الذي قام به Rigel لعمل كانيو Z. Kanyo . المنشور سنة 1981 وهو (الأمثال: دراسة الأشكال البسيطة)، أنظر المرجع السابق، ص:85-87.
4. قد أثرنا مثل هذا الإشكال، أي تعدد القراءات للخطاب أو القول الواحد. ودور السياق في ذلك، في الفصل الخاص بدراسة الحِجاج في الخطاب القرآني.
5. بخصوص بعض الألفاظ العامية الواردة في الأمثال المغربية التي تحتاج إلى شرح فنقدم مقابلاتها العربية كالتالي:

- إلى: إذا — كيتقاد: يتعادل
- شفت: رأيت — كيناكي: يغضب
- جاب: جاء به — مسوس: لا طعم له
- المزلوط: الفقير — أدى: أخذ (والمعنى هنا تزوج)
- توريها: تبين لها — براتو: أي الرسالة
- ولوا: أصبحوا — كال: قال
- دركك: غطاك وسترك وحماك
- ديك الساعة: في تلك الساعة

6. أنظر المبحث الخاص بالمبادئ الحِجاجية في الفصل الأول من كتاب (اللغة والحِجاج).
7. المرجع السابق، ومقالة آلان براندرني المشار إليها آنفاً.
8. أنظر القسم الأول من هذا الفصل.
9. ألكسندر غيتمانوفا: علم المنطق، دار التقدم، موسكو، 1989، ص: 259-261.
10. أنسكومبر (جان كلود): (Argumentation et topoi) ضمن أعمال الندوة الخامسة من ندوات ألبي 1984 (Colloques d'Albi).

الملحق رقم 3

الأمثال العامية المغربية – إلى (= إذا، Si)

1. إلى هاج البحر كيعيط للشتاء.
2. إلى شفت المزلوط غادي زربان، أعرف مول الفلوس مسخرو.
3. إلى خرجت الليالي، لا تشري ثوب غالي.
4. إلى شفت الشاب شاب، أعرف سلعه قرن جاب.
5. إلى شفت الضباب، عرفت من وراه الطياب.
6. إلى حضر الماء كيترفع التيمم.
7. إلى طلقتيها، لا توريها دار أباها.
8. إلى ما نويت، ما صليتي
9. إلى جالستي جالس الكبار، وإلى ناسبتي ناسب على قدك.
10. إلى شفت جوج معاشرين، أعرف الصبر على واحد.
11. إلى شفتيهم ضحكوا ضحك معاهم، ما عرفت لا عليك ولا عليهم.
12. إلى شفت التين، تسنى الطين.
13. إلى دازابرين، إعمل فوق البحر سرير.
14. إلى اعطاك العاطي، أحرث لا تواطي، وإلي ما اعطاك العاطي، وخا تحرث الكلاتي.
15. إلى ولوا أوراق الكرمة كد ودنين الفار، ديك الساعة كيتقاد الليل مع النهار.

اللي (= من، Qui)

16. اللى خاف نجا.
17. اللى كيربي أولادو، كيناكي أعداه.
18. اللى خفاك أصلو، شوف فعلو.
19. اللى كيشطح ما كيدرك وجهو.
20. اللى ما يكد على الخدمة، ما يستحقش الأجرة.
21. اللى تزوج ببنت عمو، بحال اللي عيد من غنمو.
22. اللى ادى من غير قبيلتو، تهرس من ركبتو.
23. اللى ما عندو فلوس، كلامو مسوس.
24. اللى كلا دجاج الناس، يسمن ديالو.
25. اللى فاتك بليلة، فاتك بحيلة.
26. اللى ضحك فرح قلبو، واللى بكا عمى عينيه.
27. اللى تبع الهوى، اداه الريح.
28. اللى بغى العسل، يصبر لقريص النحل.
29. اللى حفر شي حفرة، يطيح فيها.
30. اللى دركك بخيط، دركو بحيط.
31. اللى ما قرا براتو، وطيب عشاتو، وخيط كساتو، وذبح شاتو، موتو خير من حياتو.
32. اللى خلص دينو شبع.
33. اللى كال الخير بحال اللي عملو.
34. إللي عرف ذنبو، يستغفر لربو.
35. اللى كيتوب، كيتوب الله عليه.

الفصل الرابع

الخطاب الإشهاري

الصورة الإشهارية والحِجاج الأيقوني

مقدمة

مصطلح الصورة مصطلح عام يطلق على عدة معانٍ، فقد يطلق على الكل المخصوص الذي عليه الشيء، أو يطلق على ترتيب المعاني غير المحسوسة. وقد يقصد به ما قابل المادة، أو يقصد به التمثيل والنماذج الذهنية إلى غير ذلك من المعاني والدلالات. ومرد هذا إلى أن مصطلح الصورة يستعمل في كل المجالات العلمية والمعرفية والثقافية، نجده في اللغة والأدب والمنطق والفلسفة وعلم النفس والسوسيولوجيا والأنتربولوجيا والسينما والفنون التشكيلية... إلخ. ويتحدث في هذا الإطار عن الصورة النحوية والصورة المنطقية والصورة البلاغية والصورة الذهنية والصورة السينمائية والصورة الإشهارية، ويتحدث كذلك عن صورة الأنا وصورة الغير، الصورة الثابتة والصورة المتحركة، الصورة الواقعية والصورة المجردة.

وتنبع أهمية الصورة وخطورتها في الآن نفسه من ارتباطها بالادراك والتصور والخيال والوعي واللاوعي والفهم والتمثيل والخلفية المعرفية، ومن ثم كانت جوانبها ومظاهرها عديدة ومتنوعة.

فالصورة لها جوانب جمالية وتربوية ولغوية ونفسية ومنطقية وهندسية واجتماعية وإيديولوجية وفلسفية وحضارية.

وقد ازداد الاهتمام، مؤخراً، بموضوع الصورة وأنماطها لأهميتها وخطورتها وتأثيرها العميق في لا وعي الإنسان ولا شعوره ولفوائدها الجمة فأُلفت فيها عشرات الكتب والأبحاث، وعقدت بشأنها ندوات ومناظرات ولقاءات علمية شارك فيها باحثون ينتمون إلى حقول معرفية مختلفة.

وسنحاول أن نبرز في هذا العمل بعض الجوانب الإقناعية والحِجاجية

للصورة الإشهارية، مع الإشارة، ولو بإيجاز إلى جوانبها التصورية والمعرفية والإيديولوجية.

يهدف هذا الفصل إلى القيام بتحليل حجاجي لنماذج من الصورة الإشهارية ويهدف من وراء ذلك إلى طرح أسئلة جديدة بخصوص دراسة الصورة الإشهارية أو الصورة بصفة عامة. وسيتم الوقوف عند مجموعة من القضايا من أبرزها: مفهوم الحِجاج - البنية الداخلية للصورة - الخلفية المعرفية (الإيديولوجية) للصورة - المزاوجة بين المكونات اللغوية والمكونات الأيقونية - ...إلخ. وسيتم الربط هنا بين الجوانب المعرفية التصورية للصورة وجوانبها الحِجاجية الإقناعية. ففيما يخص الجانب الأول سنعتمد ما قدمه جاكندوف مثلاً (Jackendoff) بخصوص البنية التصورية، كما أننا سنعتمد نظرية "الحِجاج في اللغة" (Lárgumentation dans la langue). لمعالجة الجانب الثاني. ولقد لجأنا إلى هاتين النظريتين بغية طرح أسئلة جدية واعتماد مصطلحات ومفاهيم أخرى في مقاربة الصورة الإشهارية بعد أن كانت الدراسات السابقة تقتفي خطى غريماس ورولان بارت وكريستيان (Ch. Metz) وغيرهم، وتعتمد مصطلحات من قبيل: العلامة - الاعتباطية - الخطية - بلاغة الصورة - التعيين والإيحاء - المسترى التراكبي والمستوى الجدولي. التمفصل المزدوج... إلخ، أي أن الإطار المرجعي كان هو اللسانيات البنيوية أو السيميولوجيا أو البلاغة التقليدية أو الحديثة.

وإذا نظرنا في الخطاب الاشهاري التالي (سجائر خفيفة رفيعة فاخرة بالفلتر اللؤلؤي)[1] والذي أخذناه من صورة إشهارية تشتمل أيضاً على أيقونات

متمثلة في صورة علبة مفتوحة تبدو منها السجائر وسيجارة **موضوعة إلى جانبها** وولاعة ممتازة. وإذا عرفنا أن الغاية من الإشهار هي التأثير في **المتلقي ودفعه إلى** شراء المنتوج، فإننا سنعرف بالتالي أن هذا يتطلب إقناعاً وحجاجاً **واستدلالاً**. فإذا أخذنا الخطاب الإشهاري السابق، فإننا نجده يتضمن مجموعة من الحجج والأدلة وهي:

1. **السجائر خفيفة (أي أنها تتضمن نسبة محدودة من النيكوتين، وضررها هو بالتالي أقل وأخف).**
2. **السجائر رفيعة (الجودة والامتياز).**
3. **السجائر فاخرة وبالفلتر اللؤلؤي.**

وهذه الحجج تخدم نتيجة من قبيل (اشتر هذا النوع من السجائر) أو (هذا هو النوع المفضل) أو (هذه هي سيجارتك إن كنت ترغب في الجودة والخفة) إلى غير ذلك من النتائج الممكنة والمحتملة، ويمكن إعطاء نماذج أخرى من الخطاب الإشهاري:

- **كل أم تحب طفلها تختار له منذ شهره الرابع طعاماً لذيذاً ومغذياً.**
- **هما كيحبوا الطيبة دكولكات، واحنا الطيبة والفعالية دكولكات.**
- **جافيل لاكروى كيزول الطبايع العنيدة.**

فالطبيعة الحِجاجية لهذه الخطا بات الإشهارية واضحة وجلية. فالنموذج الأول الذى هو إعلان إشهاري للمنتوج الغذائى (سيريلاك) يتضمن الحجج: (سير يلاك طعامٌ لذيذٌ)، (سيريلاك طعامٌ مغذٍ) والتي يقدمها لصالح النتيجة (إن كنتِ تحبين طفلك فاشتري له سير يلاك). أما النموذج الثاني فيشتمل على حجتين

مقدمتين لصالح النتيجة (معجون الأسنان المفضل والمطلوب هو كولكات)، وهما (الطيبة) و(الفعالية). ويتضمن النموذج الإشهاري الثالث حجة واحدة هي (جافيل لاكروى يزيل الطبايع العنيدة) ونريد أن نشير بهذا الصدد إلى أن الحجج والنتائج في الخطاب الطبيعي قد تكون ظاهرة أو مضمرة بخلاف البراهين والنتائج المنطقية في اللغات الصورية والاصطناعية (منطق، رياضيات...)، فهذه الأخيرة لا بد وأن تكون صريحة وظاهرة.

إلى هذا الحد نكون قد أعطينا فكرة عن الطبيعة الحِجاجية للغة الطبيعية، وعرّفنا ببعض مفاهيم نظرية الحِجاج في اللغة، ونكون في الوقت نفسه قد حللنا نماذج من الخطاب اللغوي الذي تتضمنه الصور الإشهارية. نصل بعد هذا إلى صلب هذا العرض وجوهره الأساسي، ونطرح الأسئلة التالية:

- **هل هناك حجاج في الصورة الإشهارية؟ وما هي أهم مظاهره؟**
- **وهل المكونات الأيقونية لها طبيعة حجاجية؟**
- **وهل يمكن أن ندرس الخطاب البصري *(Visuel)* بالمنهج الذي ندرس به الخطاب اللغوي؟**

نطرح هذه الأسئلة ونحن نعرف أن التصور العام والشائع للحجاج هو أنه نشاط خطابي لغوي . فالخطاب الحِجاجي حسب عددٍ كبير من الدارسين، مناطقة ولغويين وبلاغيين وفلاسفة...، يتمثل في التأليف بين مجموعة من القضايا تهدف كلها إلى إثبات صحة قضية أخيرة تقدم باعتبارها النتيجة لهذه المتوالية الاستدلالية. لكننا لا نستطيع مع ذلك أن لا نلاحظ أن الصورة وسلطتها الإقناعية قد أُستغلت بشكل كبير في حضارة تتجه نحو الاستغناء عن الكتابة، وتفضل عليها

أشكالاً تعبيرية أخرى قادرة على خلق استجابة أكثر سرعة، ومشغلة لميكانزمات اللاوعي بشكل عميق، ثم إن التعرف على واقع هذه السلطة الإقناعية يدفعنا إلى دراسة الإمكانات الحِجاجية للصورة ولاشتغالها. ووجود هذه الإمكانات لا يشك فيه أحد، ولو أنه لم يظفر لحد الآن بدراسة نسقية. والمهتمون بالحِجاج يقع تركيزهم على الخطاب اللغوي، وعلى الإمكانات والأدوات التعبيرية التي تمدنا بها اللغات الطبيعية[2].

إن المقالات القليلة التي عثرنا عليها لكل من Odile le Guern و Michele Pauget لا يمكن أن نعتمدها في هذا البحث لأنها تتبنى المقاربات التي عالجت الحِجاج من منظور منطقي أو فلسفي أو بلاغي[3]، ولأنها تختلف جذرياً عن نظرية الحِجاج في اللغة التي اعتمدناها في دراسة الظواهر اللغوية والأنماط الخطابية. إننا نعتقد أن هذه النظرية الأخيرة قابلة للتطوير، وأنه يمكن توسيع مجال تطبيقها ليشمل مختلف النصوص والخطابات الأدبية والفلسفية والسياسية والإشهارية والسينمائية والبصرية. فنحن نميّز عادةً في الخطاب - أي خطاب - بين ثلاثة مستويات:

- **مستوى معرفي ذهني *(Cognitif)*.**
- **مستوى أداتي.**
- **مستوى سوسيو ثقافي.**

وهذا ينطبق عى الخطاب البصري، وعلى الصورة الإشهارية أو السينمائية، وهو ما يدفع إلى التفكير في دراسة الجوانب الحِجاجية لهذه الأنماط الخطابية الأخيرة، وللمكونات الأيقونية بشكل خاص.

ولكن إذا كنا في المستوى اللغوي نتحدث عن الحجج والنتائج باعتبارها عناصر دلالية. فالحجج قد تكون كلماتٌ أوجملاً أو فقراتٌ بأكملها، ولكن الذي يقدم باعتباره حجة هو عنصر دلالي ما، ولا تهمنا تحققاته وتمظهراته الشكلية والمادية التي تختلف من سياقٍ لآخر ومن حالةٍ لأخرى ، فإننا هنا في مستوى أعم نتعامل مع أشكال عديدة من التواصل (الكلامي الأيقوني، السلوكي...) نحتاج إلى توسيع التعريف الذي قدمناه لمفهوم الحجة، وبالتالي لمفهوم الحِجاج حتى يشمل مختلف أنماط العملية التواصلية.

فالتواصل قد يكون لغوياً أو غير لغوي، والحِجاج يكون هو الآخر بوسائل لغوية وأخرى غير لغوية. وإذا كان الأستاذ طه عبد الرحمان قد قال في بحثه الذي يحمل عنوان "التواصل والحِجاج" ما نصه: "لا تواصل باللسان من غير حجاج ولا حجاج بغير تواصل باللسان"(4) فإننا نعدل هذه المقولة ونوسع مجال تطبيقها فنقول: "لا تواصل من غير حجاج ولا حجاج بغير تواصل"، فيكون الحِجاج مرتبطاً بكافة أشكال التواصل. ومن أجل هذا التعديل والتوسيع المطلوب سأعتمدُ نظرية الدلالة التصورية كما هي عند جاكندوف، وبالضبط في كتابه (Semantics and Cognition) المنشور سنة 1983، والذي يذهب فيه إلى أن البنية الدلالية هي البنية التصورية، وذلك في إطار الجدل القائم حول علاقة المعنى بالتصور، وبشكل أدق فإن البنيات الدلالية – حسب جاكندوف – هي جزء من البنيات التصورية (Conceptuelles). ويقول هذا اللغوي بهذا الصدد: "إن البنيات الدلالية يمكن أن لا تكون إلا مجموعة داخل البنيات التصورية، وهي بالضبط البنيات التصورية القابلة لأن يعبّر عنها كلامياً(5). وقد وضع جاكندوف بعض القيود التي اعتبرها

ضرورية لكل نظرية لمعنى العبارة اللغوية، نشير منها إلى القيد المعرفي **(Cognotif)** فقط.

وهذا القيد يسلم بوجود بنية تصورية انطلاقاً من الملاحظة المزدوجة لقدرتنا على التعبير كلامياً عن دخل حواسي (Imput Sensoriel)، وعلى تنفيذ الأوامر والتعليمات المنقولة إلينا كلامياً. ويوضح هذا بقوله: "يوجد مستوى وحيد للتمثيل الذهني – وهو البنية التصورية – تكون فيه المعلومات اللسانية والحواسية والحركية متلائمة بشكل أفضل[6]. ففي هذا المستوى ستتم معالجة كافة أشكال التواصل اللغوي والأيقوني بطريقة موحدة وأدوات متماثلة. ففي البنية التصورية سنتحدث عن عناصر تصورية، هي التي تتم معالجتها في هذه البنية، أما العناصر الدلالية المرتبطة بالخطاب اللغوي أو بالتواصل باللغات الطبيعية فهي جزء من هذه العناصر التصورية. ولهذا فإنا إذا كنا بصدد دراسة الخطاب البصري المكوّن من أيقونات (الأشياء، والألوان...) أو التواصل السلوكي (Non verbal)، فإن الحجج والنتائج ستكون في هذا الإطار عبارة عن عناصر أيقونية أو سلوكية. وستكون في الوقت نفسه عناصر تصورية وذلك في مستوى البنية التصورية. وتتفاعل هذه الأنماط من التواصل غير اللغوي مع التواصل اللغوي وتتكامل معه داخل العملية التواصلية الكبرى لتحقيق نفس الأهدف والغايات المتوخاة. ففي إشهار السجائر الأمريكية (مارلبورو...) مثلاً، نجد أن الصورة الإشهارية تشتمل على أيقونات عديدة: صورة الأمريكي الضخم الجثة المرتدي لبنطلون "الدجينز" أو رعاة البقر أو الطبيعة الخلابة المشمسة أو الجلسات العائلية الدافئة أو أدوات فاخرة رفيعة من النوع الممتاز.. إلخ. فهذه المكونات الأيقونية تشتمل على عناصر

تصورية يتم تقديمها باعتبارها حججاً وأدلة لصالح النتيجة المتوخاة والتي تكون من قبيل (هذا هو المنتج الذي تبحثون عنه) أو (جودة المنتج). وهذا هو النمط الأول من الحجج وهناك النمط الآخر - وهو الأساس - ويتمثل في خصائص المنتوج وميزاته، فمن خصائص هذه السيجارة أو تلك نجد: النكهة - المذاق - الجودة - الخفة... إلخ.

فإذا أخذنا الصورة الإشهادية رقم 1من الصور التي يتضمنها المتن المدروس في هذا الفصل. هذه الصورة التي هي إعلان إشهاري للسيجارة الأمريكية (مارلبورو Marlboro) تتضمن صورة لرعاة البقر ولا تتضمن أي مكون لغوي غير اسم السيجارة، ولولا هذا الاسم المثبت في أعلى الصورة لما عرفنا أن هذا الإشهار يتعلق بهذا النوع من السجائر الأمريكية، ولا تتضمن كذلك صورة لعلبة السجائر أو لنموذج منها. إذا رجعنا إلى الأيقونات التي تشتمل عليها الصورة فإننا نجد أن لها دلالات وقيماً محايدة، من هذه القيم والدلالات والإيحاءات ما هو إيجابي مثل القوة والمغامرة والصراع والتفوق، ومنها ما هو سلبي مثل القيم التالية: إبادة شعبٍ فوق أرضه، الظلم والغطرسة والعدوان، إقامة حضارة هجينة... إلخ، ولكن الذي يوظف باعتباره حججاً وأدلة لصالح النتيجة المقصودة هو القيم الإيجابية للعناصر الأيقونية الموظفة في الصورة. فهذه القيم الإيجابية هي عناصر أيقونية في مستوى الصورة وهي عناصر تصورية في مستوى البنية التصورية لأنها ترتبط بالإدراك والتصور. وفي هذه البنية الأخيرة تعالج كل العناصراللغوية وغير اللغوية. أما القيم السلبية فلا تصلح لأن توظف باعتبارها حججاً في هذا السياق، بل إنها قد تكون حججاً مضادة للنتائج المتوخاة.

إذن لو طرحنا السؤال بخصوص هذه الصورة الإشهارية[1]: أين هي مظاهر الحِجاج في هذه الصورة؟ وأين هي وسائل التأثير والإقناع؟ فإننا سنحس ببعض الحرج وبالغرابة لأننا اعتدنا ربط الحِجاج باللغة والخطاب فليس هناك أقوال ولا جمل في هذا النموذج، هناك الصورة فقط بتداعياتها وإيحاءاتها، وما تستدعيه في مخيلتنا وذاكرتنا، أي في خلفيتنا المعرفية. ولو اعتمدنا نظرية الأطر (Frame theory) وهي نظرية لسانية نفسية معرفية حديثة تهتم بضبط الآليات التي تتحكم في عملية إنتاج الكلام وفهمه، فقلنا إن هذه الصورة تقدم لنا إطاراً دلالياً معرفياً إحالياً معيناً هو إطار أمريكا الدولة العظمى أولاً، وهو إطار رعاة البقر ثانياً، ومكونات هذا الإطار هي: الطبيعة، القوة والمغامرة، رعاة البقر، الفروسية، أمريكا... إلى غير ذلك.

والسيجارة الأمريكية (مارلبورو) هي مكون أساس من مكونات الإطار وقد ورد هذا الاسم في أعلى الصورة، وربما كان هذا الاسم ملخصاً لكل المكونات السابقة بحيث يبدو لنا وكأن هناك تكافؤاً وتماثلاً بين الاسم والصورة، فالاسم هو الصورة والصورة هي الاسم. إذن فهذا النوع من السجائر ينتجه ويدخنه من يندرجون في هذا الإطار، أو من يريدون الاندماج فيه وهم المرسل إليه (المخاطب المتلقي) بالنسبة لهذا الخطاب الإشهاري.

وتشكل هذه الصورة النمط الأول من الصور الإشهارية الذي لا يشتمل إلا على مكونات أيقونية فقط، ولا يتضمن أي مكون لغوي. والحجج والأدلة والنتائج ينبغي أن نبحث عنها هنا في الأيقونات.

والمكونات الأيقونية في هذه الصورة كافية لوحدها، وطبيعتها الحِجاجية

ظاهرة، ولا يمكن أن ننفي عن الصورة طابعها الحِجاجي التأثيري الإقناعي وإلا كانت الصورة غير منسجمة، وانتفت العلاقة الموجودة بين اسم السيجارة والأيقونات الواردة في الصورة.

لقد أشرنا من قبل إلى أن القيم الإيجابية للمكونات الأيقونية هي التي توظف باعتبارها حججاً ولغايات حجاجية استدلالية. فالحجج ليست حججاً ثابتة مستقرة، وليست حججاً بذاتها وطبيعتها ولكن السياق التصوري المعرفي أولاً، والحِجاجي الاستدلالي ثانياً، هو الذي يكسبها طابعها الحِجاجي، وبعبارة أخرى فقد تكون حججاً وأدلة تخدم غاية محددة ونتيجة معينة في هذا السياق، ولا تكون كذلك في سياق آخر. وإذا انتقلنا الآن إلى الصورة رقم 2 من صور المتن، فإنها تشمل بالإضافة إلى اسم السيجارة (مارلبورو لايتس Marlboro Lights)، على أيقونات عديدة هي: الطبيعة الفسيحة، رعاة البقر، صورة علبتين: إحداهما مغلقة والأخرى مفتوحة تبدو منها نماذج من السجائر، الألوان... إلخ. وهذه الصورة تشكل النمط الثاني من أنماط الصورة الإشهارية. وهو الذي تتم فيه المزاوجة بين المكونات اللغوية والمكونات الأيقونية. ولو حللنا النص اللغوي السابق لوجدناه يتضمن حجتين اثنتين:

مارلبورو لها مزايا عديدة: يعرفها المتلقي ويعرفها الجميع. فهذا شيء مسلّم به من لدن الكل، ثم إنها تبدو لنا من خلال صورة العلبتين المفتوحة والمغلقة ومن خلال صور نماذج من السيجارة.

- السيجارة "مارلبورو خفيفة".

وما قلناه عن الحِجاجية الأيقونية (Argumentation Iconique) في

الصورة الأولى نقوله عن الأيقونات التي تتضمنها هذه الصورة. ولكن الإشكال الذي يطرح هنا هو كالتالي: عندما تشتمل الصورة على مكونات أيقونية فقط (وربما مع اسم المنتوج) فهنا توظف الأيقونات باعتبارها حججاً، وسنتحدث بالتالى عن الحِجاج الأيقوني، لكن عندما تشتمل الصورة على جمل وأقوال توظف حجاجياً، وتتضمن في الوقت نفسه أيقونات عديدة (الأشياء Objects)، فهل هذه الأيقونات لها وظيفة حجاجية؟. وهل هناك - بالتالي- علاقة بين المكونات اللغوية والمكونات الأيقونية من المنظور الحِجاجي؟ وما طبيعة هذه العلاقة؟ وبعبارة أخرى: هل توظف هذه المكونات كلها حجاجياً؟ وإذا كان الأمر كذلك، فما العلاقة بين النمط الأول والنمط الثاني؟ وهل الأمر يتعلق بتوزيع تكاملي بمعنى أن المكونات اللغوية تكون لها وظيفة حجاجية والأيقونات تكون لها وظائف أخرى (تأكيد، توضيح، تمثيل...)؟ إننا نعتقد أن هذين النوعين من المكونات (اللغوية والأيقونية) يوظفان معاً حجاجياً، وأن التكامل والتفاعل بينهما يهم الجوانب الإخبارية الإعلامية كما يهم الجوانب الإقناعية الاستدلالية. إلا أن النص اللغوي يؤدي وظيفة أساسية تتمثل في تحديد الوجهة الحِجاجية للخطاب، وتتمثل كذلك في تقييد وحصر الإمكانات التأويلية الدلالية والحِجاجية. ويتم هذا التفاعل والتكامل بأشكال عديدة وفي مستويات مختلفة وتؤدي كلها إلى نتيجة واحدة ووحيدة. فلو أخذنا الصورة 3 التي تتضمن إشهاراً للسيجارة (لاكي سترايك)، والتي تتضمن نصاً لغوياً إلى جانب العناصر الأيقونية، فإننا نجد نمطاً أولاً من التكامل ما بين مكونات الصورة اللغوية والأيقونية. فهنا صورة رجل ضخم الجثة، يمتطي دراجة نارية يدخن سيجارة لاكي سترايك، وإلى جانب هذه الصورة

هنـاك الـنص اللغـوي الـذي يقـول: السـيجارة الأمريكيـة الأصـيلة مصـنوعة في الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، وهـو مكتـوب بـاللغتين العربيـة والإنجليزيـة. الشـيء الذي جعل فضاء الصورة فضاءً أمريكياً بشكل تـام ومطلـق. فالشخص الموجـود في الصورة ذو ملامح أمريكيـة (سـحنته، ارتـداؤه لـ"الـدجين"...) والسيجارة أمريكيـة (لاكي سترايك) إسماً وصنعاً وموطنـاً. والـنص اللغـوي مكتـوب باللغـة الإنجليزيـة. ثـم إنـه يؤكـد أن السـيجارة أمريكيـة أصـيلة وأنهـا مصـنوعة في الولايـات المتحـدة الأمريكية. إذن التكامل واضح وبيِّن في هذا المستوى الأول. فما يقوله النص اللغـوي تعبّر عنه الأيقونات أيقونياً.

أما إذا انتقلنـا إلى مستوى آخر، فـإن التكامـل يكـون مرتبطـاً بـالاختلاف القائم بين اللغـة الأيقونيـة واللغـة الكلاميـة، وكثيراً مـا تلجـأ الصورة الإشـهارية إلى النمط الأول، بل وتكتفي به في أحيـان كثيرة. والحجتـان الأساسيتـان الواردتـان في هذه الصورة - لغوياً وأيقونياً - همـا:

- السيجارة أمريكية.
- السيجارة أصيلة.

فـالحجـة الأولى هـي أن السـيجارة أمريكيـة، بـل وهنـاك تأكيـد علـى أنهـا مصنوعة في الولايات المتحدة الأمريكية، وهذه الحجة معبّر عنهـا باللغـة الإنجليزيـة لتأكيـد المصـدر الأصـلي للسـيجارة (أمريكـا) ولتنسـجم المكونـات اللغويـة مـع المكونات الأيقونية. فالنص اللغوي اعتمد اللغة الإنجليزية وهذا على مستوى الأداة والوسيلة، أما على مستوى المضمون والمحتوى فإنـه يقـول إن السيجارة أمريكيـة، فهنالك تكامل وانسجام داخل النص اللغوي بين الأداة والمضمون، وهـذه المكونـات

اللغوية تتكامل وتنسجم مع الأيقونات، وبالضبط مع صورة العلبة التي كتب على غلافها (Made in USA) وقد عبّر عن هذه الحجة أيضاً باللغة العربية لأن المتلقي هنا هو العربي، فالصورة الإشهارية منشورة بإحدى المجلات العربية (الحوادث). أما ما يعنيه التأكيد على أن السيجارة أمريكية فهذا بديهي ومعروف، فلفظة "أمريكا" يرتبط بها، كما أشرنا إلى ذلك من قبل، إطار معرفي ودلالي تتمثل عناصره في: الدولة العظمى - الصناعة والتكنولوجيا - القوة والعظمة - التقدم... إلخ.

أما الحجة الثانية فهي أن السيجارة أصيلة وأنها مصنوعة فعلاً في الولايات المتحدة الأمريكية، وأنها لا تحمل طابعاً مزوراً، وهذه الحجة تابعة للحجة الأولى، وبهما معاً تكتمل الصورة، وتكتمل وسائل التأثير والإقناع، ويتم نقل النموذج الأمريكي المراد نقله (اللباس، الدراجة، السيجارة، اللغة...) وتكون النتيجة المقصودة التي تؤدي إليها الحجة اللغوية والحجة الأيقونية هي من نمط (هذه هي سيجارتك) أو (هذه سيجارة أمريكا) أو (هذه سيجارة الدولة العظمى)، (هذه سيجارة الاقوياء)، (سيجارة الصناعة والتكنولوجيا) إلى غير ذلك.

ولننتقل إلى الصورة رقم 4 التي هي إعلان إشهاري للسيجارة Dunhill، فهذه الصورة تشتمل على نص لغوي هو: "العالم كله يسلم بأنها أفخر سيجارة في العالم"، وهو مكون من حجتين: الأولى هي: أن "Dunhill أفخر سيجارة في العالم" ونلاحظ هنا استعمال أسلوب التفضيل، أما الحجة الثانية فهي: "العالم كله يسلم بهذا"، ونلاحظ أن الكلمات التي تم توظيفها هنا تم انتقاؤها بعناية لتتلاءم مع

الحجة السابقة، (هذه أفخر سيجارة في العالم)، فهي تؤكد على الكلية والعموم والشمولية (العالم - كله - أفخر)، وتؤكد على أن الأمر يتعلق بالتسليم (من المسلمات والبدهيات) لا بمجرد الاعتقاد والظن والتخمين. وما عبّر عنه النص اللغوي (أي الحِجاجية اللغوية) عبرت عنه الأيقونات أيقونياً (أي الحِجاجية الأيقونية): ولاعة من نوع فاخر وممتاز - صورة لنموذج من السيجارة الموجودة بالعلبة - السيجارة لها فلتر لؤلؤي وفضي فاخر - النقوش التي تحيط بالصورة الإشهارية فضية وناصعة البياض - ثم إن غلاف العلبة كتبت عليه هذه العبارة (Filtre de luxe)- الألوان الموظفة في الصورة...إلخ، إذن كل شيء في هذه الصورة فاخر ولؤلؤي ورفيع، والنتيجة هى (اختر النوع المفضل والفاخر).

مما تجدرالإشارة إليه بهذا الصدد هو أن الربط بين الحجة والنتائج، داخل العلاقة الحِجاجية، لا بد له من ضامن، وهذا الضامن هو ما أسماه ديكرو "المبادئ الحِجاجية" على غرار مبادئ ومسلمات الاستدلال المنطقي، وهذه المبادئ - خلافاً للمسلمات المنطقية ذت الطبيعة الحتمية والمطلقة - تتصف بكونها عامة ونسبية وتدرجية، وهي عبارة عن قواعد عامة تجعل العمليات الحِجاجية ممكنة. والمبادئ الحِجاجية ترد عامة بهذه الصيغة (أو بصيغة مماثلة تبرز طابعها التدرجي)(٧):

- **بقدر ما تجتهد، تنجح.**
- **بقدر ما تكون التجارة رائجة،يكون الربح وفيراً.**

وهذه المبادئ ينبغي أن نبحث عنها، بالنسبة لموضوعنا هذا، انطلاقاً من الحجج المعتمدة وانطلاقاً من البنية الداخلية للصورة الإشهارية.

وإذا عدنا إلى الخطاب الإشهاري الأول الذي درسناه في بداية البحث، وهو

مأخوذ من الصورة التي تحمل رقم 5 من صور المتن (سجائر خفيفة فاخرة بالفلتر اللؤلؤي)، فإن المبادئ الحِجاجية يقوم عليها هذا الخطاب يمكن أن تكون من نمط:

- **بقدر ما تكون السيجارة خفيفة، يكون الإقبال عليها متزايداً.**
- **كلما كانت السيجارة رفيعة وفاخرة. كانت النوع المفضل.**
- **بقدر ما تكون السيجارة خفيفة، يكون ضررها أقل.**

ويكن تخيل مبادئ حجاجية أخرى بحسب المتكلمين، وبحسب مقاصدهم وسياقاتهم التخاطبية والتواصلية.

نصل بعد هذا إلى سؤال جوهري هو كالتالي: كيف تتم معالجة العناصر الأيقونية في البنية التصورية؟ هل تتم ترجمتها إلى عناصر دلالية؟ وهنا يمكن التمييز بين مواقف عديدة:

1- الموقف الذي تبنته الباحثة الفرنسية Odile Le Guern: وهو أن العناصر الأيقونية يتم تحويلها من قبل المتلقي إلى مجموعة من البنيات القضوية، إذن فتحليل هذه الأيقونات ودراستها لا بد وأن يمر بمرحلة التأويل القضوي (Interpretation Propositionnelle) لأن الصورة تمثل بشكل تركيبي، لمجموعة من الأشياء ومجموعة من المحمولات التي لا تنفصل عنها في التمثيل البصري. ولتلقي صورةٍ ما، فإنه من الضروري القيام بنشاط تحليلي تفكيكي يتم بواسطته التمييز والفصل بين الموضوعات ومحمولاتها وصفاتها(8). فهذه الباحثة ترى أنه لا يمكن الاعتقاد بوجود وحدات مقابلة لكلمات اللغة في الصورة، وهي ترى أن العمل الحِجاجي يرتبط بالدرجة الأولى بالتلقي، فهو

الذي يُنشئ البنيات القضوية، أما الدور الحِجاجي لمرسل الرسالة البصرية فإنه يتحدد في وضع قيود توجه التأويل القضوي للصورة من قبل المتلقي، وهناك ثلاث وسائل يملكها المرسل لوضع هذه القيود:

- البنية الداخلية للصورة.
- إستعمال الإيديولوجيا.
- المزاوجة بين الرسالة البصرية والنص اللغوي[٥].

ونعتقد -نحن - أنه لا يمكن تبني هذا الموقف لأنه يجعل الأمور أكثر تعقيداً مما هي عليه في الواقع، بحيث لا بد أن يمر فهم الصورة وتحليلها، بل ومختلف الظواهر الأيقونية عبر التأويل القضوي، ونتساءل هل يمكن تعميم هذا على السلوك غير الكلامي (Non Verbal)، وعلى الأنماط التواصلية الأخرى؟ وهل هناك ما يدعم هذا في البحوث والدراسات المنجزة حالياً في البيولوجيا واللسانيات وعلم النفس المعرفي وفلسفة الذهن والعلوم المعرفية بوجه عام؟

2- الموقف الذي نتبناه نحن مبدئياً (فنحن لم نطلّع على كثير مما أُنجز بخصوص هذا الموضوع في كثير من المجالات العلمية). ويتمثل في أن العناصر الأيقونية تُعالج بنفس الطريقة التي تُعالج بها الوحدات اللغوية في البنية التصورية، فهذه البنية تُعتبر المستوى الوحيد للتمثيل الذهني الذي تُعالج فيه - وبشكل متماثل ومتلائم - كافة المعلومات اللسانية والحركية والحواسية (Lingustiques, Mortices et sensorielles)نعبّر حواسياً عن دخل كلامي، ونعبّر كلامياً عن دخل حواسي ونعبّر أيضاً حركياً

عن دخل حواسي أو كلامي، ويمكن أن نعدد الأمثلة في هذا المجال، فلا فرق بين الحِجاج الأيقوني والحِجاج اللغوي ويمكن تعميم نموذج جاكندوف على كثير من الظواهر، وإن كان هناك الكثير مما ينبغي أن يُنجز خاصة في المستوى التمثيلي والإجرائي.

3- يمكن إيجاد حلول ومعالجات أخرى انطلاقاً من النظريات الذهنية والمعرفية الحديثة: نظرية النماذج الذهنية (Jhonson – Laird) نظرية الأطر - نظرية الخطاطة... إلخ.

خاتمة:

لقـا حـاولنـا في هـذا البحـث إبـراز بعـض الجوانـب الحِجاجيـة للصـورة الإشهارية، سواءً منها النمط المشتمل على المكونات الأيقونية فقط، أو النمط الذي تتم فيه المزاوجة بين العناصر اللغوية والعناصر الأيقونية. وقد تم التركيز في هذا الإطار على النقط التالية:

- **الحِجاجية الأيقونية.**
- **مظاهر التفاعل والتكامل بين النص اللغوي والمكونات الأيقونية.**

ولا نـدّعي بعـد ذلـك أننـا أحطنـا بالمظاهرالحِجاجيـة لمكونـات الصـورة الإشـهارية. أمـا الجوانـب المعرفيـة والإيديولوجيـة والنفسـية والاجتماعيـة واللغويـة والفنية والسيميائية وغيرها فلم تكن تشكل موضوع هذا البحث ولا تدخل في نطاق هدفه المحدد وإن وردت في ثنايا العرض بعض الإشارات الطفيفة والسريعة إلى هذه الجوانب.

وحسبنا أننا حاولنا تقديم بعض المقترحات الجديدة و المتواضعة في هذا المجال.

فمـاذا كانـت البحـوث القليلـة والمعدودة الـتي عـالجت الحِجـاج في الصـورة الإشهارية (ونقصد أعمال Michele Pauget et Odile le Guern) قد اسـتندت إلى مرجعيـة تقليديـة إلى حـدٍ مـا، وقامـت بالمزاوجـة بـين المقاربـات الحِجاجيـة الكلاسـيكية الـتي تنتمـي إلى البلاغـة القديمـة والحديثـة أو المنطـق الطبيعي (جون بليز غريز J. B. Grize، برلمان Perelman) وبين البلاغة والسيميولوجيا واللسـانيات البنيويـة (أعمـال يلمسـليف - مـارتيني- غريمـاس-

رولان بارت...)، فإننا تبنينا نظرية لسانية حديثة هي نظرية "الحِجاج في اللغة"، ولم يسبق حسب علمنا، أن طبقت هذه النظرية على الصورة الإشهارية أو الظواهر الأيقونية بشكل عام، وإذا كنا في فصول سابقة قد حاولنا توسيع مجال تطبيق هذه النظرية، وطبقناها بالتالي على الخطاب القرآني والنص الشعري وعلى الأمثال العامية والاستعارة بعد أن كان مجال تطبيقها محصوراً في الظروف والروابط والأدوات الحِجاجية، فإننا حاولنا في هذا البحث طرح أسئلة جديدة وارتياد فضاءات أخرى، وهذا البحث إن هو إلاّ محاولة أولى لدراسة الجوانب الحِجاجية والمعرفية (التصورية) في الصورة الإشهارية، ستتلوها محاولات أخرى.

الهوامش:

1. ورد هذا النص في الصورة الإشهارية التي تحمل رقم (5) من صور المتن.
2. أوديل لوغيرن: O. Le Guern: de límage (Approches dune etude argumentative) ص: 165
3. أنظر عناوين هذه المقالات في لائحة المراجع.
4. طه عبد الرحمان: التواصل والحِجاج، منشورات كلية الآداب بأكادير 1994 ، ص:
5. جاكندوف: Mit press, Semantics and cognition ص: 19.
6. جاكندوف: نفس المصدر، ص:17.
7. يمكن الرجوع إلى المبحث الخاص بالمبادئ ضمن الفصل الأول من كتاب (اللغة والحِجاج).
8. أوديل لوغيرن: مصدر سابق، ص: 168 – 169.
9. نفس المصدر، ص: 2 - 1978.

الخاتمة

إن الهدف الذي كنا نرمي إليه من خلال فصول هذا الكتاب يتمثل فيما يلي:

1- بيان أهمية التحليل الحِجاجي للنصوص والخطابات بمختلف أنواعها.

2- توسيع مجال نظرية الحِجاج في اللغة وتطويرها. ولن يتأتى هذا إلا باقتراح مفاهيم ومصطلحات جديدة من قبيل البرنامج الحِجاجي والاستراتيجية الخطابية وتعالق الروابط الحِجاجية التداولية والحِجاج الأيقوني والانسجام الحِجاجي التداولي. فليس مجال الحِجاج هو القول أو الجملة، وإنما مجاله الحقيقي هو الخطاب والحوار حيث تتجلى طرائق اشتغاله،وتظهر وجوه استعماله.

3- إعطاء مزيد من الأمثلة ومزيد من الحجج والأدلة على شمولية الحِجاج، وعلى أن الخطاب بمختلف أنواعه وأنماطه، ذو طابع حجاجي بامتياز.

وعلى العموم. فهذا الكتاب خطوة ثانية متممة للخطوة الأولى التى يمثلها كتاب (اللغة والحِجاج)، في سياق إبراز بعض الجوانب الحِجاجية للغة العربية بشكل خاص، واللغات الطبيعية بشكل عام وستتلوه أعمال وبحوث ودراسات أخرى للتعريف بمختلف النظريات الحِجاجية أو لمعالجة ظواهر جديدة أو لتحليل المزيد من النصوص والخطابات مثل الخطاب القانوني أو الخطاب السياسي أو المناظرة حتى يكتسب التحليل الحِجاجي للخطاب طابعاً إجرائياً وعملياً بشكل كبير، فيسهل تطبيقه على أي نص، وعلى أي خطاب، مهما كان نوعه ومهما كانت طبيعته. ذلك ما كنا نهدف ونرمي إليه، والله الموفق للصواب، وهوالهادي إلى سواء الصراط.

فهرس المصطلحات

Acte d’argumentation	فعل حجاجي
Acte de langage	فعل لغوي فعل كلامي
Analyse du discours	تحليل الخطاب
Antiorientation	تعارض اتجاهي
Argument	حجة دليل
Argumentation	حجاج
Argumentation iconique	حجاج أيقوني
Assertion	إثبات
Banalite	ابتذال
Classe Argumentative	فئة حجاجية
Cognition	معرفة
Cognitif	معرفي
Coherence Argumentative	إنسجام حجاجي
Conceptuel	تصوري
Conclusion	نتيجة
Connecteur Argumentatif	رابط حجاجي
Coorientation	تساوق حجاجي
Conversationnel	حواري
Déduction	استنتاج منطقي
Demonstration	برهنة
Echelle Argumentative	سلم حجاجي
Enchainement	تسلسل

Enchainement conclusif	تسلسل استنتاجي
Enonciation	تلفظ قولية
Enonce	قول
Force Argumentative	قوة حجاجية
Force illocutoire	قوة إنجازية
Garant	ضامن
Gradualite	تدرجية
Implication logique	استلزام منطقي
Information	معلومة خبر
Instructions	تعليمات
Institutionnel	مؤسي مؤسساتي
Intention	قصد
Interpretation propositionnelle	تأويل قضوي
Intersubjectif	تذاوتي
Logique naturelle	منطق طبيعي
Logique du langage	منطق اللغة
Marque	علامة مؤشر
Marquee	معلم موسوم
Operateur Argumentatif	عامل حجاجي
Opposition	تعارض
Orientation Argumentative	اتجاه توجيه حجاجي
Performatif	إنجازي تكليمي

Pragmatique intégrée	تداوليات مدمجة
Presupposition	اقتضاء
Proposition	قضية
Propositionnel	قضوي
Proverbe	مثل
Raisonnement	استدلال
Refutation	إبطال
Relation Argumentative	علاقة حجاجية
Semantique	علم الدلالة
Sens Argumentatif	معنى حجاجي
Syllogisme	قياس منطقي
Valeur	قيمة
Valeur Argumentative	قيمة حجاجي
Verite	صدق
Verbal	كلامي
Topoï	مبادئ حجاجية

فهرس المصادر والمراجع

المراجع العربية

1- القرآن الكريم.

2- أرسطو: الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دارالشؤون العامة، بغداد، 1986.

3- الألمعي زاهر عوض: مناهج الجدل في القرآن الكريم، الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، 1979.

4- الباجي أبو الوليد: كتاب المنهاج في ترتيب الحِجاج، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، ط 2، 1987.

5- الجرجاني الشريف: التعريفات.

6- الحفني عبد المنعم: المعجم الفلسفي، الدار الشرقية، القاهرة 1990.

7- الرازي فخر الدين: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1990.

8- الرماني أبو الحسن: معاني الحرف، تحقيق عبد الفتاح شلبي، دار نهضة مصر، القاهرة.

9- الزجاجي أبو القاسم: حروف المعاني، تحقيق علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986.

10- الزمخشري جار الله: الكشاف عن حقائق التنزيل، القاهرة، مصطفى الحلبي، 1972.

11- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1998.

12- العزاوي أبو بكر: الكليات الاستعارية، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، فاس، العدد: 2، 1987.

13- العزاوي أبو بكر: الفضاء في اللغة، المشكاة، العدد: 25، وجدة 1997.

14- العزاوي أبو بكر: الأمثال الشعبية والتحليل الاستلزامي ضمن ندوة (جوانب من الثقافة الشعبية بالدار البيضاء) منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالبيضاء، عين الشق، 1994.

15- العزاوي أبو بكر: من المنطق إلى الحِجاج، فكر ونقد، العدد: 61، دار النشر المغربية، البيضاء، 2004.

16- العزاوي أبو بكر: الحوار والحِجاج وتدبير الاختلاف والتربية على حقوق الإنسان، مجلة عالم التربية، العدد: 51، مجلة فصلية، الجديدة، 2004.

17- العزاوي أبو بكر: "المنظومة الأخلاقية عند النورسي" ضمن أعمال المؤتمر العالمي السادس (العولمة والأخلاق في رسائل النور)، تركيا، اسطنبول، 2002.

18- العزاوي أبو بكر: النورسي رجل الحوار والإقناع (بحث مخطوط)2004.

19- العزاوي أبو بكر: "لا تواصل من غير حجاج ولا حجاج من غير تواصل" جريدة (بيان اليوم)، السبت 11 فبراير 2006.

20- العزاوي أبو بكر: اللغة والحِجاج، الأحمدية للنشر البيضاء 2006.

21- العزاوي أبو بكر: "العنوان والإطار"، مجلة فكر، الرباط، العدد:6، 2007.

22- القرطاجي حازم: منهاج البلغاء، تحقيق محمد الحبيب بلخوجة، تونس 1966.

23- المالقى أحمد بن عبد النور: رصف المباني في شرح حروف المعانى، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

24- المرادي الحسن بن القاسم: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1985.

25- المغوسي أبو جمعة: إتحاف ذوي الأرب بمقاصد لامية العرب، تحقيق محمد أمين المؤدب، دار الرشاد الحديثة، البيضاء، 1987.

26- مطر أحمد: لافتات 2، لندن، 1987.

27- مفتاح محمد: تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996.

28- مفتاح محمد: دينامية النص، المركز الثقافي العربي، البيضاء، 1987.

29- مسكين حسن: "اللغة والحجاج: عمق النظرية ودقة الإنجاز، الملحق الثقافي لجريدة الاتحاد الإشتراكي، السبت 11 مارس 2007.

30- المناظرة (مجلة): العدد: 4، الرباط، 1991.

31- المناهل (مجلة): العدد: 61-62، وزارة الثقافة، الرباط.

32- إبن منظور: لسان العرب، د.ت.

33- إبن هشام: مغني اللبيب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمدالله، دار الفكر، بيروت، 1979.

المراجع الأجنبية

- Anscombre, Jean-Claude et Ducrot O. (1983): l'argumentation dans la langue , Mardaga, Bruxelles.
- Anscombre, Jean-Claude (ed), (1995): Théorie des topoi, kime, Paris.
- Azzaoui Boubker (1990): Quelques connecteurs pragmatiques en arabe litéraire, Thése de doctorat, unique (PHD), EHESS, Paris.
- Azzaoui Boubker (1991): «CR de l'ouvrage: l'implication dans les langues naturelles et les langages formels», in langues et literatures, N:9, Faculté de lettres, Rabat.
- Azzaoui Boubker: «Logique, langage et argumentation: entretien avec J. B. Grize» (sous presse).
- Azzaoui Boubker (1991): «Linguistique, littérature et mémoire: entretien avec H. Weinrich» in Linguistica communicatio, N:2, Fez.
- Azzaoui Boubker: Argumentation et énonciation, (ouvrage sous presse).
- Austin J. L. (1970): Quand dire, c'est faire, seuil, Paris. - Bellenger L (1984): L'argumentation, Les Editions E. S. F. Paris.
- Blanche R. (1967): Raison et discours, Vrin, Paris.
- Blanche R. (1968): Introduction à la logique contemporaine, Armand Colin, Paris.
- Bouvier A.(1995): L'argumentation philosophique, P. U. F. Paris.
- Borel M. J. (1978): Discours de la logique et logique du discours, L'age d'homme, Lausanne.
- Breton Ph. (1996): l'argumentation dans la communication. La decouverte, Paris.
- Carel M. (2002): «Occupe-toi d'Amélie: emploi contrastif de Mais et illustration», CLF, N: 24, Genève.

- Davidson D. et Harman G. (eds), (1972) semantics of natural languages, Dordrecht.
- Dubois J. et al. (1973): Dictionnaire de linguistique, Larousse, Paris.
- Ducrot O. (1972): Dire et ne pas dire. Principes de sémantique linguistique, Hermann, Paris.
- Ducrot O. (1980): Les échelles argumentatives, Minuit, Paris.
- Ducrot O. (1984): Le dire et le dit, Minuit, Paris.
- Ducrot O. et Todorov T. (1972): Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage.
- Ducrot O. et al. (1980): Les mots du discours, Minuit, Paris.
- Fauconnier G. (1984): Espaces mentaux: aspects de la construction du sens dans les langues naturelles, Minuit, Paris.
- Foucault M. (1971): L'ordre du discours, Gallimard, Paris.
- Gardies J. L. (1995): «L'analyse entre raisonnement et calcul» in Travaux C D R S, N: 63.
- Grize J.B. (1982): De la logique a l'argumentation, Droz, Genève - Paris.
- Grize J. B. (1990): logique et langage. Ophrys, Paris.
- Grize J. B (1996): logique naturelle et communications. PUF, Paris.
- Horn L. (1972): On the semantics properties of logical opeators in English, University of California, in Los Angles.
- Kerbrat-Orecchioni C. (1980): l'énonciation: De la subjectivité dans le langage, Armand Colin, Paris.
- Lakoff G. (1970): «Linguistics and natural logic», Synthèse 22 (trad. Franç 1976 Klincksiek).
- Maingueneau D. (1976): Initiation aux méthodes de l'analyse du discours: problèmes et perspectives, Hachette, Paris.
- Maingueneau, D. (1984): Genèses du discours, Mardaga, Bruxelles.
- Martin R. (1983): Pour une logique du sens, P. U. F., Paris.

- Meyer M. (1982): logique, langage et argumentation. Hachette, Paris.
- Meyer M. (éd) (1986): De la métaphysique à la rhétorique. Editions de l'Universrté de Bruxelles.
- Miéville D. et Berrenonner A. (eds), (1997): logique, discours et pensée, Peter lang Allemagne.
- Moeschler J. (1985): Argumentation et conversation. Éléments pour une analyse pragmatique du discours, Hatier, Paris.
- Net F. (1986): Sémantique de la référence temporelle en français moderne, Peter lang Allemagne.
- Oléron P. (1983): L'argumentation ("Que saisje ?"), P. U. F., Paris.
- Perelman Ch. (1970): Le champ de L'argumentation, P. U. F., Paris.
- Perelman Ch. (1988): L'empire rhétorique, Editions Urin, Paris.
- Perelman Ch., & Olbrechts-Tyteca L. (1983): Traité de l'argumentation - La Nouvelle rhétorique, Ed. de l'Université de Bruxelles.
- Plantin Ch. (1990): Essais sur l'argumentation. Kimé, Paris.
- Recanati F. (1981): Les énoncés performatifs, Minuit, Paris.
- Robrieux J. J. (1993): Éléments de rhétorique et d'argumentation. Dunod, Paris.
- Roulet E. et al. (1985): l'articulation du discours en français contemporain, Peter lang, Berne.
- Rossani C. (2002): «Les adverbes connecteurs: vers une identificationde la classe et des sousclasses» in C L F, N : 24 Genève.

- Sabah G. (1988): l'intelligence artificielle et le langage, Hermes, Paris.
- Simonet R. (1990): l'Argumentation - Strategie et tactiques. Ed. d'Organisation, Paris.
- Searle J. (1972): Les actes de langage, Hermann, Paris.
- Searle J. (1982): Sens et expressions, Minuit, Paris.
- Terre D. (1998): Les dérives de l'argumentation scientifique, P. U. F., Paris.
- Toulmine S. (1993): Les usages de l'argumentation, P. U. F., Paris.
- Vignaux G. (1976): L'argumentation: Essai d'une logique discursive. Droz, Genève - Paris.
- Vignaux G. (1988): Le Discours, acteur du monde - Enonciation, argumentation et cognition. Ophrys, Paris.
- Windish, U. (1990): Le prêt à penser, les formes de la communication et de l'argumentation quotidienne. L'Age d'Homme, lausanne.

الفهرس

ملاحظات:

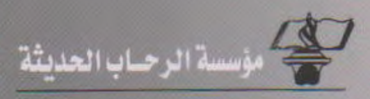
الدكتور أبو بكر العزاوي

يهدف هذا الكتاب إلى دراسة الحِجاج في مستوى الخطاب، وهو ينطلق من مسلمة مفادها أن كل النصوص والخطابات التي تنجز بواسطة اللغة الطبيعية حِجاجية، لكن مظاهر الحِجاج وطبيعته ودرجته تختلف من نص لنص، ومن خطاب لخطاب.

ليس مجال الحِجاج هو القول أو الجملة، وإنما مجاله الحقيقي هو الخطاب والحوار. حيث تظهر وجوه استعماله، وتتجلى طرائق اشتغاله.

الدكتور أبو بكر العزاوي

- أستاذ التعليم العالي بجامعة القاضي عياض.
- رئيس الجمعية المغربية لتكامل العلوم.
- عضو بعدد من مراكز البحث العلمي.
- أشرف على العديد من رسائل الدكتوراه والماجستير.
- شارك في العديد من الندوات والندوات الفكرية.
- له مؤلفات عديدة بالعربية والفرنسية، منها:
  - الخطاب والحجاج.
  - الحوار والحجاج والاختلاف.
  - Argumentation et enonciation.
  - اللغة والحجاج.
  - القضاء في اللغة.



تليفون: 00961 3 359788 فاكس: 00961 7 241032
ص.ب: 11/3847 بيروت - لبنان
alrihabpub@terra.net.lb